من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر

1830 ـ 1962

د. شاوش حباسي

مقدمة :

نهتم في هذا البحث بإبراز الروح الصليبية في الإستعمار الفرنسي بالجزائر بين 1830 و 1962، أي طيلة المدة التي تواجد فيها بهذا البلد. وقد أثبتنا شواهد متعدّدة عثرنا عليها خلال مطالعاتنا لكتابة هذا البحث تُثبت وجود هذه الروح لدى سياسيين وعسكريين وموظفين سامين وكتّاب وجنود ومعمرين وصحافيين ...

وقد أسقطنا عمدا الحديث عن وجود هذه الروح عند رجال الدين المسيحيين ("المبشرين") لأن ذلك أمر طبيعي عندهم غير مستغرب من جهة[1]، ومن جهة أخرى حتى لاترسّخ في الأذهان صورة ضيّقة، إن لم نقل مغلوطة، تقصر هذه الظاهرة على رجال الدين المسيحيين لاتتعداّهم إلى المدنيين والعسكريين الفرنسيين بحجة داحضة في الحقيقة مفادها أنّ هؤلاء بحكم لائكيّتهم في الغالب خُلوٌ من هذه الروح.

وقد فضّلنا إستعمال عبارة «الروح الصليبية» بدل عبارات أخرى مثل «التفكير الديني والتبشيري» مثلا[2] بسبب أنّ ما أقدم عليه الفرنسيون في الجزائر لم يكن في حقيقة الأمر دعوة خالصة إلى الدين المسيحي كما بشّر به المسيح عليه السلام، ولو فعلوا ذلك لأصبحوا مسلمين، ولم يكن كذلك ماأقدموا عليه في الجزائر ما حوته أناجيلهم المحرّفة. بل ماوقع بمجرد إحتكاكهم بالجزائريين كان التضييق على هؤلاء حتى يتخلّوا عن ممارسة شعائرهم الدينية عن طريق الإستيلاء على مساجدهم ومنع المظاهر التي يتجلّى فيها الدين كالأعياد وغيرها، وقطع المد المادي والمالي على التعليم القرآني والعربي بالإستيلاء على الأوقاف المخصصة لهذا الغرض حتى

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

يُمنع تواصل الثقافة الإسلامية في المجتمع. وقد واكب هذه الحركة التهديمية أو تبعها إقحام المنظومة الغربية بكل أبعادها الثقافية والإقتصادية والإجتماعية لتكون بديلا للمنظومة الإسلامية في مناحي الحياة المشار إليها.

فدور القهر والتسلّط السياسي والتضييق الإقتصادي وخنق أو إزالة المؤسسات الإسلامية (الزوايا المؤثرة، القضاء الإسلامي، الخ ...) قامت به الإدارة الفرنسية التي أشرف على تسييرها طيلة القرن التاسع عشر تقريبا عسكريون. أما دور محاولة إفراغ الجزائريين من معتقداتهم وإقحامهم في دائرة التفكير الغربي، أو على الأقل زلزلة هذه المعتقدات حتى تنهار الروح المعنوية الدينية الوطنية فيتبعها حتما إنهيار المقاومة الجزائرية التي إرتكزت دوما على هذه الروح، فقد أوكل إلى مستشرقين قاموا به أحسن قيام.

ثم إنّ البنية الفكرية الإستعمارية الإستعلائية قد إعتبرت الجزائري دوما دون الفرنسي والأوروبي عموما من الجانب العرقي (تفوّق الرجل الأبيض وحتمية سيادته) والحضاري (هيمنة المفاهيم والقيم الغربية المسيحية على العالم)[3]. فما ألقاب «أهلي» و «رعيّة» و «بيكو» وحتى «مسلم» التي كان يُسمي بها الفرنسيون الجزائريين طيلة وجودهم بالجزائر إلا تعبيرا جليّا عن هذا الإحتقار والإزدراء والدونية. والعبارات ـ كما أشار إلى ذلك الأستاذ مالك بن نبي ـ تدلّ على مفاهيم فكرية محدّدة.

ويكون في الغفلة المعرفية من ظن أن الأوروبيين شعوبا وقادة بحكم عدم إلتزامهم بتعاليم دينهم في الغالب في القرن العشرين، قد لفظوا الإنتماء إلى الدين المسيحي وأنّ هذا الدين لايشكّل منبعا لثقافتهم الجماعية أو على الأقل مايزال مؤثرا في سلوكهم لاشعوريا، ولنترك الأستاذ روجي غرودي يوضح لنا إجمالا صلة الدين بالمجتمع والدولة في أوروبا منذ عهد قسطنطين إلى عهدنا.

كتب غرودي : «منذ خمسة عشر قرنا، أي منذ قرار ميلانو الذي أصدره قسطنطين سنة 313م، وكذا قرار طيودوز بتسالونيك سنة 380م الذي فرض

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

المسيحية كآخر وسيلة لتجاوز أزمة الأمبراطورية الرومانية، فإنّ العلاقة بقيت وطيدة بين الكنيسة وسلطة الدولة. وكانت «المسيحية» كذلك تجمع بين الدين المسيحي والحضارة الغربية.

«وإذا بدأ التفريق الطفيف بين العقيدة المسيحية والثقافة الغربية إبتداء من سنة 1979 (تأمل)، فإنّ إستقلالية الكنيسة والدولة قد بدأت ترتسم معالمها منذ القرن التاسع عشر عندما فتّتت «القومياتُ» المسيحيةَ (كدين جامع سياسيا). «ومنذ نهاية القرن التاسع عشر قامت محاولات لإنشاء «مسيحية جديدة» في مجتمع مفصول رسميا عن الكنيسة. وقد إمتدت هذه المجهودات إلى كل الأصعدة : ففي المجال الإقتصادي صيغت «المنظومة الإجتماعية» للكنيسة، وشُكلت «نقابات مسيحية»، وعلى الصعيد السياسي شُكلت أحزاب «الديمقراطية المسيحية»، وعلى الصعيد التربوي دافع أصحاب هذا الإتجاه للإبقاء على المدارس الدينية»[4].

وكان حتما محتوما أن ينفصل الدين عن الدولة والمجتمع في أوروبا عمليا عندما جحدت الإسلام لأن المسيحية كدين قبل أن تحرّف ركزت على التوحيد إبتداء وخففت عن بني إسرائيل أحكاما قاسية كانت ترهق كاهلهم بسبب ظلمهم، وأشاعت الأخلاق الفاضلة السمحة. غير أنّ التشريع الإجتماعي والإقتصادي والسياسي كان غائبا منها إلا في قضايا عامة (تشريع في المأكل وتحريم الربا والزنى مثلا). وكانت رسالة المسيح عليه السلام كما هو معروف ممهّدة لرسالة جامعة شاملة تحمّلها بعده محمد صلى الله عليه وسلم.

أما أوروبا اليوم فإنها تنتسب إلى مسيحية بشرية ـ إن صحّ التعبير ـ أي إلى أهواء بشر. وقد إطمأنت أوروبا بما ورثت من تحريف لأنه في الحقيقة يواكب غرائزها وشهواتها، فأضحى الدين لايجلب تكليفا ربانيا ولاواجبات في صورة شعائر محددة راتبة ولا شريعة ملزمة صارمة. فاكتفت إذن بالإنتساب الوراثي للمسيحية بهذا المفهوم.

هذا داخل حدود أوروبا، أما نظرة الأوروبيين وحكمهم وتعاملهم مع العالم الإسلامي فإنها أسيرة الميراث النفسي للحروب الصليبية كما يبينه شاهد منهم قد أسلم وهو الأستاذ ليوبولد فايس (محمد أسد) : «ولقد يتساءل بعضهم فيقول : كيف يتّفق أنّ نفورا قديما مثل هذا (أي النفور الديني) ـ وقد كان دينيا في أساسه (يقصد الحروب الصليبية) وممكنا في زمانه بسبب السيطرة الروحية للكنيسة النصرانية ـ يستمر في أوروبا في زمن ليس الشعور الديني فيه إلا قضية من قضايا الماضي ؟

«ليست مثل هذه المعضلات موضع إستغراب أبدا : فإنه من المشهور في علم النفس أنّ الإنسان قد يفقد جميع الإعتقادات الدينية التي تلقنها في أثناء طفولته، بينما تظل بعض الخرافات الخاصة ـ والتي كانت من قبل تدور حول تلك الإعتقادات المهجورة ـ في قوتها تتحدى كلّ تعليل عقلي في جميع أدوار ذلك الإنسان، وهذه حال الأوروبيين مع الإسلام : فعلى الرغم من أنّ الشعور الديني الذي كان السبب في النفور من الإسلام قد أخلى مكانه في هذه الأثناء لإستشراف حياة أكثر مادية، فإنّ النفور القديم نفسه قد بقي عنصرا من الوعي الباطني في عقول الأوربيين، وأما درجة هذا النفور من القوة، فإنها تختلف بلا شك بين شخص وآخر، ولكن وجوده لاريب فيه. إنّ روح الحروب الصليبية ـ في شكل مصغّر على كل حال ـ مازال يتسكّع فوق أوروبا، ولاتزال مدنيتهم تقف من العالم الإسلامي موقفا يحمل آثارا واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال» [5].

هذا عن الجانب التنظيري للبحث، أما من الجانب التقني فقد قسّمنا عملنا إلى قسمين ووضعنا لكل قسم شواهده، وقد عنونّا القسم الأول : مظاهر الروح الصليبية في القرن التاسع عشر، عرضنا فيه ما أمكننا الحصول عليه من مادة إنطلاقا من تاريخ عزم الفرنسيين على غزو الجزائر (1827) إلى نهاية القرن معتمدين التسلسل الزمني داخل هذه الفترة. وقد أبقينا على نفس الطريقة في القسم الثاني من البحث الذي عنونّاه : تواصل هذه الروح في القرن العشرين، وقد إنطلقنا من بداية القرن إلى غاية سنة 1962.

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

وقد يلاحظ القارئ ميلنا إلى إثبات نصوص الشواهد إثباتا حرفيا في أغلب المواضع وقد تعمّدنا ذلك حتى يظهر الحماس الديني بضمير المتكلّم حيّا في أجلى صوره، وهو الهدف المبتغى من هذه الدراسة.

القسم الأول :

مظاهر الروح الصليبية في القرن التاسع عشر

ولعل أول مظهر نستفتح به هذا القسم ذلك الطلب الملح من وزير الحربية الفرنسي كليرمونت طونير للسير في حملة لغزو الجزائر بعد حادثة المروحة. وقد تُلي طلبه هذا على أسماع مجلس الوزراء بمحضر الملك شارل العاشر بتاريخ 14 أكتوبر 1827، ونقتطع منه هذه المقاطع : «إنّ العناية الإلهية سمحت بأن تستثار جلالتكم في شخص قنصلكم (يقصد القنصل دوفال) من طرف أعتى أعداء المسيحية (أي الداي حسين) لذلك سيدي فإن العناية تدعو لأغراض خاصة ابن سان لويس (شارل العاشر) للإنتقام في نفس الوقت للدين وللإنسانية ومن سِباب الداي (...) وسوف نكون سعداء بمرور الزمن عندما نحضّر الجزائريين بتصييرهم مسيحيين! وإن كان هذا الإعتبار غير كاف ليُقدّم سببا للقيام بحرب (ضد الجزائر) فإنه سيكون على الأقل عندما تنطلق الحرب سببا للسير بثقة أكبر إلى نصر، يظهر أن العناية الإلهية قد حضّرته لنا (...) إنني أتوسل لجلالتكم باسم أغلى مصالح الوطن (...) أن تعزموا على الإنتقام للمسيحية وفي نفس الوقت للسباب الذي تعرّضتم له»[6].

وقريبا من هذا ذهب رئيس الوزراء الفرنسي الذي اعتبر أنّ «سقوط الجزائر في أيدي الجيش الفرنسي سيجلب أجل الخدمات وأكبر الفوائد للمسيحية جمعاء»[7].

ولم يكن بقية أعضاء المجلس أقل حماسا وصليبية من وزير الحربية ورئيس الوزراء، بل «أجمعت الحكومة على الدخول في حرب ضد الجزائر حتى تبيّن أنّ جلالة الملك شارل العاشر الكاثوليكي هو أجل المدافعين عن الكنيسة، وحتى تمنع البابا من طلب الحماية من المرتدين الإنجليز»[8].

وحتى يهيئ الملك شارل العاشر الرأي العام الفرنسي لغزو الجزائر ويثير في الجيش الفرنسي الروح الدينية والوطنية، أعلن في خطاب العرش الملكي بتاريخ 2 مارس 1830 (أي قبل شهرين ونصف تقريبا من إنطلاق الحملة من ميناء طولون) أن الهد ف الذي كان يرمي إلى تحقيقه من الحملة الفرنسية «يجب أن يرضي شرف فرنسا و يرجع بفضل العناية الإلهية بالفائدة على المسيحية»[9].

وقد حمل الجنرال بورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر مع الجنود ستة عشر قسيسا[10] وكان فيهم «الأب» زكار السوري وأخ بطريك بيت المقدس.

وعندما سقطت مدينة الجزائر ودخلها الجنرال بورمون منتصرا صرّح لهؤلاء القساوسة : «إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية فى إفريقيا، ولنأمل أن تينع قريبا الحضارة التى إنطفأت فى هذه الربوع»[11].

وقد توجّه برومون كذلك إلى جنوده قائلا : «لقد أعدتم الرباط مع الصليبيين»[12].

وبعد يومين فقط من إمضاء معاهدة القصبة بين الجنرال بورمون والداي حسين إثر سقوط مدينة الجزائر والتي نصّت صراحة على إحترام الديانة الإسلامية وضمان حرية ممارستها، نصبّ الجنرال يوم 6 جويلية الصليب على أعلى بناية بالقصبة في حفل مهيب. وقد كتب شاهد عيان فرنسي يدعى (Stefen d'Estry) يصف هذا الحفل : «عادت المسيحية من جديد للإستحواذ على بلد كانت من قبل مزدهرة به (يقصد الفترة الرومانية بالجزائر)، وقد قام قسيس بمراسيم الحفل الديني فأحنى الجنود، وهم في غبار إنتصار الليلة السابقة، جباههم مكشوفة للإله مانح الإنتصار في المعارك. وكانت التضحية توحي بالعودة للحريّة والحضارة»[13].

أما كاتب برومون الخاص (Dumesnil) فإنه وصف الحفل بمايلي : «أقيمت هذه الصلاة في الساحة الرئيسية للقصبة، إنّ تحية العالم قد تراءت لنا وسط هذه القلعة التي بناها أبناء محمد ضد شعوب المسيح. وقد تردّدت عبارات الإنجيل في هذه الأماكن التي مازالت حافلة بذكريات الإسلام وحرف القرآن الميّت(...)»[14].

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

ولم يكتف بورمون وبقية المسؤولين العسكريين الفرنسيين بهذا بل كانوا يشعرون بوجوب القضاء على «بربرية» الجزائريين وإسلامهم وإحلال المسيحية مكانهما. فقد وجب حسب كولي (COOLEY) «ضم المستعمرة الجديدة تحت راية الصليب». وعلى هذا الأساس أمر بورمون بتحويل المساجد إلى كنائس وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية وإفساح المجال للمبشرين لإرجاع هذا الشعب إلى حضيرة الدين المسيحي في زعمهم[15].

إلا أنّ ثورة يوليو سنة 1830 في فرنسا التي رفعت على العرش الملك لويس فيليب قد عصفت بالجنرال بورمون فعزل من مهامه ولم يسمح له بالعودة إلى فرنسا ولا إمتطاء البواخر الفرنسية. فخرج من الجزائر على ظهر باخرة أجنبية مخلفا الحكم فيها للجنرال كلوزيل.

وكان الملك لويس فيليب مثل سابقه شارل العاشر المطاح به يؤمن بالدين ويعتمد عليه، وقد عمل على تقريب رجال الدين إليه لتعزيز نفوذه وعندما استقبل الملك الجديد الأسقف دوبوش «لتدشين وتشجيع النشاط التبشيري بالجزائر» فاتحه لويس فيليب بقوله : «لايكون العرب فرنسيين إلا عندما يصبحون مسيحيين، ويتوقف ذلك علينا نحن الإثنين فلنُعِد الحياة إلى إفريقيا».

كما فاتح الملك خليفة دوبوش الأسقف بافي بقوله : «يجب أن نتحلّى بحسن التدبير للعمل على اعتناق العرب الدين المسيحي، أما إذا أسرعنا في ذلك فإننا سنضر بالقضية كلها، وأخيرا لايكون العرب فرنسيين إلا إذا كانوا مسيحيين»[16].

وكان رئيس الوزراء قيزو على قلب واحد مع الملك، يؤمن بأن : «أمبراطورية المعتقدات الدينية لم تكن أقل أهمية الآن منها في العصور السابقة ولا أتردد في القول بحتميتها الآن أكثر من أي وقت مضى»[17].

ولم يتردّد قيزو في إبلاغ الأوامر للإدارة الفرنسية بالجزائر لتحقيق هذا الغرض. وقد أشار إلى ذلك السيد حمدان خوجة بمايلي : « (...) وهكذا فمن الممكن أن يكون مشروع تمسيح الجزائر قد وجد في أذهان ولاتنا (يقصد المسؤولين

الفرنسيين) كما أشار إلى ذلك «البريد الفرنسي» بتاريخ 20 جوان 1833 مستعملا العبارات التالية : إنّ الذي لن يفاجأ به الجمهور هو أنّ رئيس مجلس الوزراء الحقيقي منذ ثورة جوليت وإلى عهد قريب جدا قد كتب إلى المقتصد المدني في الجزائر يوصيه بتمسيح الأيالة. وسكوت الجرائد الوزارية عن هذا الموضوع لاتدل أبدا على أنّ في الأمر خيرا »[18].

وبخصوص أمر رئيس الوزراء بالإستزادة من الإستحواذ على المساجد في الجزائر استند السيد حمدان خوجة على ملاحظات بيشون أحد أقطاب الإدارة الفرنسية بالجزائر ليدلي بالحقائق التالية : «والذي يدهشنا في هذا الموضوع هو إذن رئيس الوزراء، لأننا نفهم من خلال ملاحظات بيشون بهذا الصدد في تاريخ 11 ماي 1832 أنه أعطى أوامر فيما يخص ذلك وفيما يلي فقرة بيشون : «لقد درست قضية المحلات التابعة للدين الإسلامي وإنني، منذ أن وصلت وأحطت علما بوجود لجنة تدعى «لجنة المحلات العسكرية» لم أسمع إلا صيحات متوالية فيما يخص المساجد وضرورة استزادة خمسة أو ستة منها بالإضافة إلى الستة أو السبعة التي توجد في حوزتنا.

«إنّ بعض الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم كمُبيدين للديانة الإسلامية وللسكان الذين يتديّنون بها، لايهمّهم أن يعرفوا إذا كان ذلك يتفق مع وجهة نظر الحكومة ونواياها أم لا. إنّ هؤلاء الأشخاص كانوا يتقدمون إليّ بنوع من الإبتهاج والسخرية ليشكرونني على عدم تمكني من إنقاذهم (يقصد المساجد).

«(...) إنكم تدركون جيدا سيدي الرئيس بأنه لايمكن أن أتردّد لحظة واحدة للمساهمة في أخذ جميع المساجد لو كنّا في حاجة إليها، ذلك لأنّ سلامة الجيش هي الهدف الأسمى بالنسبة لي. ولكن القضية قضية ذوق وهوى بالنسبة للأشخاص الذين ذكرتهم، فالمسألة إذن ليست مسألة حاجة وضرورة (...)»[19].

وفي خضم وخز هذه الإعتداءات على المقدسات الدينية وعلى المسلمين في الجزائر سجل السيد حمدان خوجة ماإنتهى إليه هؤلاء من قناعة راسخة : «إنّ

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

الحكومة الفرنسية بالنسبة للقبائل (يقصد سكان الجزائر خارج المدن الكبرى) توجد في نفس وضعية التاجر المذكور (التاجر الذي لايلتزم بوعوده)، وهؤلاء القبائل لم يعودوا يفرّقوا بين الأوروبيين، إنهم يعمّمون ويقولون : «إنهم مسيحيون، ولايمكن أن يصادقوهم ولا أن ينسوا حقدهم الديني، ذلك لأنهم لو أتيحت لهم الفرصة للإعتداء عليهم لفعلوا (...) وهل كان الفرنسيون يتصرّفون بمثل هذه الطريقة لو أنّ الجزائريين كانوا يتديّنون بدينهم ؟ وعلى الرغم من أنني لاأعتقد، شخصيا، بأنّ الفرنسيين قدموا إلى الجزائر بدافع ديني، فإنّ تلك هي فكرة كثير من الأشخاص الآخرين الذين يدعّمون رأيهم بوقائع لاتقبل المنازعة»[20].

وأما أفعال الجنرال كلوزيل الذي خلف بورمون كما ذكرنا آنفا فنترك وصفها للسيد حمدان بن عثمان خوجة الذي كان شاهد عيان : «قبل أن أتخلى عن وظيفتي (عضو في مجلس بلدية العاصمة) كان الجنرال كلوزيل قد طلب من البلدية أن تسلمه مسجد العاصمة الكائن بناحية ميناء المسمكة ليحولّ إلى مسرح، وأكّد بأن حكومته أذنت له بأن يقدّم مثل هذا الطلب. فقلنا له : إننا لانستطيع الموافقة على هذا الإجراء (...) واكتفينا بأن قلنا له : إذا كان المرغوب هو إقامة مسرح فإنّه يمكن استعمال مسكن الداي القديم الواسع، كما يمكن استعمال الأراضي المحيطة به لبناء مسرح جديد إذا اقتضى الأمر ذلك، وهكذا ظلّ الطلب غير مجاب ولم يُبنَ المسرح»[21].

«ووقع كذلك تهديم ثلاثة مساجد كانت خاصة بسكان تلك المحلات الثلاث (محلات سوق الصباغين بالعاصمة) (...) إنّ نفس الجنرال كلوزيل (...) قد أوجب على المفتي أن يسلّمه المساجد الواقعة أمام الأبواب التي يدخل منها البدو (...) مدينة الجزائر. لقد طلب هذه المساجد ليجعل منها مستشفيات لجيوشه، وتعهّد للمفتي أنهّ لن يستعملها أكثر من شهرين واضطرّ المفتي إلى تنفيذ الأمر»[22].

أما الحاكم العام البارون برتيز ين، فرغم ميوله إلى التعرّف على المجتمع الجزائري والحديث الموضوعي نوعا ما عن الإسلام ورفعه لبعض المغالطات التي

كانت عند الفرنسيين بخصوص عقلية الجزائريين وطبائعهم في كتابه المطبوع سنة 1834 تحت عنوان ثمانية عشر شهر بالجزائر، إلا أنّه بقي أصما وعاجزا عن إرجاع المسلمين الجزائريين حقوقهم الدينية والمدنية والمادية. فعند حديثه عن قرار يوم 1830/12/07 الصادر في عهد الجنرال كلوزيل والقاضي بالإستيلاء على أوقاف مكة والمدينة وكذا تحويل المساجد إلى مصالح أخرى متنوعة، فقد إكتفى بالقول بأنّ ذلك «يخدش في العدالة أكثر مما يخدش في تطرّف وكبرياء المسلمين»![23] وهو الحاكم العام القادر على تغيير مجرى الأمور في الجزائر لو أراد ذلك فعلا.

بل ذهب ديلور الضابط المقرّب من كلوزيل ورئيس أركان الجيش في الجزائر في عهده في ملاحظاته على كتاب برتيزين السالف الذكر إلى أن هذا الأخير قد غيّر المكان الذي إختاره كلوزيل لبناء مخيّم للجيش، فعوض أن يُقام المخيّم في مكان عام شاغر إختار، برتيزين بناء المخيم على أنقاذ مسجد الساحة الذي هُدّم في عهده.

كتب ديلور : لقد أغلق مسجد الساحة لأنّه تقرّر أن يُهدم. وفي شهر رمضان جاء المفتي (كذا) وأئمة أتراك (كذا) فطلبوا أن يصلّوا فيه لآخر مرة صلوات شهر رمضان. فسمح لهم بذلك بشرط صارم أن يعاد غلقه وتسليم المفاتيح إلى إدارة البلدية عند إنتهاء صيام رمضان»[24].

وجاء عهد الدوق دي روفيقو الذي خلف كلوزيل (حكم هذا الأخير في الجزائر مرتين متقطعتين، وقد خلفه في المرة الثانية كما مرّ البارون برتيزين)، وكان عهده بالجزائر عهد حيف وظلم وطغيان. وفيما نحن بصدد البحث فيه فإنّ دي روفيقو قد إرتبط إسمه بتحويل مسجد كتشاوة البهيج المعمور إلى كنيسة.

وقد كتب المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان عن الحادثة نقلا عن شاهد عيان ومترجم في الجيش الفرنسي يدعى جوني فرعون هذه المادة[25] : «حتى يُحوّل روفيقو مسجد كتشاوة إلى كنيسة بشيء من الشرعية فقد كوّن لجنة ترأسها بَرْبَرُوجر وضمت مفتين جزائريين وشخصيتين مسلمين من بينهما بوضربة. وخلال المناقشات الحادة إحتمى الجزائريون بمعاهدة 1830/07/04 (معاهدة القصبة) ورفضوا التحويل.

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

«إنّ المترجم (ابن جوني فرعون) الذي تولّى المحادثات باسم الحاكم العام، وكان معجبا بروفيقو، قد كتب بأنه كان ينوي تحطيم كلّ شيء وإلقاء القبض على المفتين والدخول بأقصى قوة في المسجد وقطع رؤوس كلّ من يعترضون إرادته».

«أما بيشون فقد إقترح بناء كنيسة بدل تحويل المسجد إلى كنيسة. وخلال الجلسة الأخيرة (يقصد جلسة اللجنة) تجمّع أزيد من عشرة آلاف متظاهر أمام قصر الحكومة. (...) وقد تمكّن بوضربة الذكي من الحصول على عقد بختم المفتين يعطي للفرنسيين مسجد المسمكة (أي المسجد الجديد) بدل مسجد كتشاوة.

«وقد ظلّ بيشون ممانعا لهذا الإبدال، بينما إعتبره دي روفيقو غير كاف، فصاح مغاضبا : «لقد منحونا أسوأ مسجد من حيث الموقع والتقديس. أنا لاأريده (أي المسجد الجديد) أنا أريد أجملهما ! نحن الأسياد والمنتصرون ! لاأريد أن يُضحك علي». ولمّا علم دي روفيقو أنّ مقدّم الطريقة الطيبية آت ومعه السكان، أمر الجنرال يوم 1831/12/17 باحتلال المسجد إبتداء من اليوم الموالي (أي يوم 18). فنصّب الصليب وعَلَم فرنسا على الصومعة على أنغام تحية القوات العسكرية البرية والبحرية.

«وقد تجمّع حوالي أربعة آلاف مسلم داخل المسجد، وكانت أبوابه موصدة (...) فاقتحم الجيش المسجد (...) واستولى عليه».

«(...) ولم يصدر أي اعتراض من المسيحيين الكاثوليك في الجزائر العاصمة[26] أو في فرنسا» ودشن المسجد كنيسة سنة 1832.

«وقد أرسلت الملكة أميلي تبرعا في صورة أدوات لتزيين الكنيسة (...) كما بارك البابا غريغوار 16 الذين كانوا من وراء هذا الإنجاز (...) وهم على التوالي : بَرْبْرُوجَر والمترجمين بلانسي وفرعون والمتصرف جانتي دي بوسي»[27].

غير أنّه فات جوليان أن يضع أمام أعيننا عدد القتلى الذين سقطوا في هذا اليوم دفاعا عن المسجد، ولم يكن عددهم بالقليل، ولهذا سميت الساحة التي غمرتها دماؤهم الطاهرة بساحة الشهداء إلى اليوم.

وأما في عهد الجنرال فَوَارول، قائد القوات العسكرية الفرنسية بالنيابة بالجزائر بين 1833 و 1834 فقد وقعت حادثة بارزة كشفت إنطواءه هو كذلك على هذه الروح، وإن لم يُظهر ذلك علنا. ولنترك له المجال إبتداءاً ليعرّفنا بالحادثة وملابساتها ثم نعقّب على كلامه ببعض التعليق.

كتب فَوارول إلى وزير الحربية الفرنسي بتاريخ 11 سبتمبر 1834 التقرير التالي عن هذه الحادثة : «يشرّفني أن أعلمكم بحدث هام، غير أنّه آل في الأخير إلى درجة من الخطورة (...) جاءتني موريسكية (كذا) (ويقصد جزائرية) طُلّقت من زوجها ترغب في إعتناق الدين المسيحي وتجعل نفسها تحت حماية قوانيننا. فأخبرتها بأن تغيير الدين ليس من إهتماماتنا في شيء، فأنا لاأشجع ذلك كما لاأمنعه (...).

وجاءني رئيس الدير سبيتر (Spitz) في هذه الأثناء، وكان يأتيني في بيتي لتربية إبنتي، فطلب مني الإذن لتحويلها إلى المسيحية، فما كان علي إلا القبول (...) وفي اليوم التاسع من شهر سبتمبر الجاري بعث القاضي المالكي عبد العزيز مجموعة من الرجال اقتحموا البيت الذي كانت تقيم به الموريسكية، وكانت قد إكترته من يهودي (...) فسيقت إلى القاضي الذي كان يحضّر نفسه لضربها بالعصا، فأثار صياحها بعض الأوروبيين (...) فبعثتُ مساعدي إلى عين المكان ليتحقّق من الأحداث (...) فأخلي سبيل الموريسكية التي خشيت أن تقع مرة أخرى بيد القضاة المسلمين فاحتمت داخل الكنيسة وكان رئيسها دي لارن (De Larne) يقيم الصلاة في هذا الحين فأقام لها مراسيم التمسيح. فنتج عن ذلك توقّف المحاكم الإسلامية بالجزائر (العاصمة) وإستقالة القضاة المسلمين (...) إنّه حدث نوعي يشهد في صالح الإدارة، فإنها أول مرة منذ الإحتلال يحدث أن غيّر مسلم أهلي دينه»(28).

وتجب الإشارة إلى أن تقرير فوارول إلى وزير الحربية الفرنسي قد جاء كتبرير لما قامت به الإدارة التي كان على رأسها في الجزائر بعد الضجة والتوتر الكبيرين اللذين سادا العاصمة بضعة أيام من جراء الحدث الذي ذكرناه، في وقت كانت

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر في غرب ووسط الجزائر وأحمد باي في شرقها على أشدها، فخشي من رد فعل وزير الحربية تجاهه (29).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يظهر أن تقرير الجنرال فوارول مليء بالغموض والصدف. فمن الغموض تنصُّر المرأة الجزائرية في زعمه لالسبب إلا لأنّ زوجها طلقها. وسببٌ كهذا في الحقيقة لايبعث على الإرتياح، لأنّ الصواب والمعقول أن تتوجّه المرأة المسلمة إلى قاض مسلم طمعًا في أن يقنع زوجها فيردّها إلى بيتها، لا أن تتنصّر فتثير سخط زوجها والمجتمع الجزائري كله.

ثم إنّ الأمر لو كان إراديا وطبيعيا لاتجهت المرأة منطقيا إلى أقرب كنيسة لتطلب التنصّر لا أن تتجه إلى الجنرال فوارول. فإهتمام هذا الأخير بنفسه بالأمر يطرح شكوكا عريضة في صحة ماأخبر به وزير الحربية.

ولو كان تنصر المرأة الجزائرية إراديا كذلك لما جلب تلك الإحتجاجات والمعارضة والإستقالة الجماعية للقضاة الجزائريين. أما عن إختطاف المرأة واستعداد القاضي عبد العزيز لضربها ففيه غرابة وخروج عن المألوف في عرف القضاء الجزائري : فمتى كان القاضي يضرب بنفسه المذنبين ومرتكبي الجنح ؟ فهذه الغرابة في التقرير في اعتقادنا تعصف بمصداقيته.

أما عن الصدف، فأولّها إلتقاء رئيس الدير سبيتز صدفة بالمرأة في بيت الجنرال فوارول ليعلّمها دينها الجديد، وثاني الصدف دخول المرأة الكنيسة ومصادفتها لإقامة الصلاة المسيحية وتعميدها من طرف رئيس الكنيسة دي لارن.

والظاهر عندنا، في غياب شهادة جزائرية عن الحدث، أنّ الأمور جرت على غير ماأخبره به فوارول. فمن المحتمل جدا أن يكون على إتفاق مع رجال الدين في الجزائر قد أختاروا هذه المرأة عنوة أو في جهلها غير دارية أو لأسباب أخرى نجهلها، لتكون نموذجا يقتدى به من طرف الجزائريين، وإيهاما منهم أن التنصّر هو الخروج من «البربرية» والدخول في الحضارة. وقد ضمن الجنرال بنفسه وعمليا حماية من يسلك هذا السبيل من الجزائريين.

وما يؤكد ماذهبنا إليه ورود عبارات في التقرير الذي أرسله فوارول إلى وزير الحربية توحي بأن الجنرال متحمس للأمر، مثل «حدث هام» عند ذكره تنصّر المرأة، وتربيته لإبنته تربية دينية وابتهاجه في نهاية التقرير «بتنصّر» أول جزائرية منذ بداية الإحتلال[30].

وأما الجنرال دمريمون(Damrémont) الذي خاب مسعاه في الإستيلاء على قسنطينة سنة 1836، والذي قتل في خريف السنة الموالية على مشارف نفس المدينة إثر الهجوم الثاني عليها بقيادة الجنرال ڤالي، فقد كان يشتكي إلى وزير الحربية غياب تنظيم الشعائر الدينية الكاثوليكية في الجزائر وعدم إشعاع الدين المسيحي على السكان. جاء في رسالته الموجهة إلى وزير الحربية بتاريخ 13 جوان 1837 : «السيد الوزير، إنّ الدين المسيحي غير منظم في الجزائر : ففي الجزائر العاصمة ووهران وعنابة فإنه أسند إلى قساوسة من الجيش لم يؤدّوا مهمتيهما العسكرية والدينية في آن واحد على مايرام. ففي بجاية لايوجد أي تمثيل ديني، والسكان محرومون من الحماية الدينية، وقد تكرّر تنبيه وزير الحربية بذلك (...)»[31].

وخلفه الجنرال ڤالي الذي انتصر الجيش الفرنسي بقيادته على أحمد باي قسنطينة في خريف 1837 قد أدرك حسب الكاتب لويس فييُو) بأن «الدين (المسيحي) ضروري لتحقيق أغراض الفرنسيين بالجزائر. وأنّ فرنسا ستبقى أطول في المكان الذي تغرس فيه صليبا من المكان الذي ترفع فيه علما فقط». ثم أضاف لويس فييّو مادحا ڤالي (...): «فلولاه لبقي الهلال يعلو تلك المباني» ويقصد بالمباني المساجد.

وإذا كان إسم دي روفيقو قد إرتبط كما مرّ بنا بتحويل مسجد كتشاوة إلى كنيسة، فإنّ إسم ڤالي قد إرتبط بتحويل مسجد البليدة الواسع الجميل المعمور إلى كنيسة كذلك. وقد راسل ڤالي مقدّم (l'évêque) العاصمة معتزا ومفتخرا بعد عزمه على تحويل هذا المسجد الأخير يوم 1840/11/04. وفيما يلي نص الرسالة : «سيدي؛ عجّلتُ بعد عودتي من المديّة بالإهتمام بمستعمرة البليدة الجديدة. وقد فكّرت، كما هو واجب علي، أن أعطي لسكانها (الأوربيين طبعا) الوسائل المطلوبة

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

عادة حتى يؤدّوا شعائرهم الدينية، فحولّتُ إلى الديانة الكاثوليكية أجمل مسجد في المدينة وكان يقع لحسن الحظ على حدود المدينة الفرنسية. وهذا المسجد الذي هو في هذه الأثناء عبارة عن مستودع سيُحولّ إلى كنيسة، وهذا ماأفرح الأهالي[32]. وسأعطي الأوامر برفع الصليب فورا على الصومعة ايذانا بسيادة الديانة المسيحية، ولاظهر بأفضل من أي شيء آخر الإحتلال النهائي (للمدينة).

«فعليكم سيدي أن تعيّنوا من يقوم بهذه الكنيسة الجديدة. وهناك بناية صغيرة تابعة للمسجد تصلح لتكون مسكنا للراهب، وكذا بناية تابعة للمسجد ومحاذية له ستصبح مدرسة للأطفال»[33].

أما الجنرال بُوجُو، الذي طبّق في الجزائر طريقة الأرض المحروقة وهي طريقة أطلقت للجيش الفرنسي في عهده اليد للقيام بأبشع الإنتهاكات والجرائم وكذا القضاء على الحرث بالتدمير والإتلاف، فإنّه لم يتردّد في إستعمال عبارة «الحروب الصليبية» ليصف ماكان يقوم به ضد المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر[34].

كما لايخفي الجنرال المهمة الحضارية المنوطة بفرنسا في الجزائر[35]. والحضارة في مفهوم بوجو، كما سنوضّح ذلك لاحقا، مصدرها الديانة المسيحية. وفيما يلي شهادات متنوعة ممن عرفوا الجنرال بوجو عن قرب، وأولّها لوالي سابق في العاصمة المدعو (H.D'IDEVILLE) استقاها من الجنرال (DUVIVIER)[36] وكان هذا الأخير زميلا لبوجو. نسب هذا الوالي هذه المقاطع إلى بوجو : «هناك إنجاز آخر يعدّ استمراره في عملية احتلال الجزائر أماني شريفة عند القسم السليم في الأمة الفرنسية. وهذا الإنجاز كلّه ديني وكله أخلاقي، إنّه تحضير السكان الجزائريين. لكن المسألة هنا محاطة بسحب كثيفة ووضوح خادع. وبدون قائد ماهر، وتحت تأثير أمبراطورية الأبهة قد ننساق بعيدا عما نريد. إنّ الحضارة التي بين عيني هي تلك التي تنبعث بأكملها من أخلاق المسيح، وهي غير الحضارة المادية التي محورها إشباع الحاجات ومحركها الفردانية».

«وحتى نحضّر فلا بد من نشر الأفكار الإنجيليّة، فلنفكّر جيّدًا، إن الأفكار (مسطرة في الأصل) سوف تضمن هيمنتنا، وإنّ الأفكار هي التي ستحاربنا. إنّ

قوة عبد القادر الحقيقية، القوة التي ثبتت أمامنا منبعها من الأفكار، لذلك فإنّ الأفكار لاتأتي عليها إلا أفكار جديدة أعلى منها.

ويجب أن يقود هذا المبدأ سيرنا نحو الإنتصار، فإن ظهر أكثر بطئا فإنّه بالمقابل مضمون العواقب.

«(...) وتحت الحماية الدينية أو العسكرية ستقام مستعمرات الفقر، وحينها سوف نضمن التقدّم في إتجاه الإستعمار والحضارة. نعم ! وخلال قرن كامل يجب أن تكون مستعمرتنا في الجزائر حقلا دينيا وزراعيا وعسكريا واسعا (...)»[37].

هذا وإنّ الجنرال بوجو قد ساند رجال الدين اليعاقبة (Jesuites) المتواجدين في الجزائر وكذلك (Trappistes) القادمين إليها في عهده مساندة معنوية قوية ومادية سخية. فقد استقبل الـ (Trappistes) في قصر الحكومة يوما واحدا بعد نزولهم على أرض الجزائر (13 أوت 1843)، ثم قدّم لهم إعانات عينية ومادية تمثلت في : 1.020 هكتار، ودعم مالي قدره 62.000 فرنك وأغراض عينية أخرى. بل خصّص خمسين جنديا من السجناء لخدمتهم، كما زوّدهم بمجموعة من الثيران والبقر والخرفان (مجموع 118 رأس)[38].

وكان بوجو يحضر حفلاتهم الدينية ليضرب معنويات الشعب الجزائري[39] وفي إحدى هجماته على مدينة بوفريك إلى الجنوب الشرقي من العاصمة، أسر بوجو مائتين وخمسين طفلا (250) وقدّمهم إلى «الأب» برومو طالبا منه أن يربيهم على المسيحية : «إنهم يتامى لقطوا في ساحة الوغى، ربّوهم واجعلوهم مسيحيين»[40].

وقد كتب(D'IDEVILLE) بأنّ «الأب» ريجس الذي كان صديقا حميما للكاتب قد حدّثه في عدة مناسبات عن صديقه المرشال بوجو (رقّي بوجو إلى مرشال) وعن العلاقات الحميمة والودية والعطف المتبادل الذي كان بينهما[41] وكانت كذلك صلة (بوجو) بالاسقف دوبوش على نفس الدرجة من الود[42]

وذكر رحّلة فرنسي إسمه بوجولاط كان كذلك على علاقة حميمة مع المرشال بوجو، أن هذا الأخير قد سأله في جلسة في أحد صالونات الجزائر سنة 1842 :

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

«ماذا نفعل في الجزائر ؟»، فردّ الرحّالة الفرنسي : «إنّكم تتممون إنجاز غُودَفْرَوَى ولويس السابع وسان لويس[43]»، ثم أضاف الرحالة : «وبعد حديث بوجو المطوّل عن «البلد المبَشَّر» (أي فرنسا) استنتج الرحالة الذي كان مهتما بحديث بوجو بأن «حربنا في الجزائر هي إذن مواصلة للحروب الصليبية !»[44]

والرحالة بوجولاط كان أيضا من المتحمِّسين للمسيحية ونشرها بالجزائر فقد كتب بهذا الصدد : «إنّ هدف حربنا في الجزائر أسمى وأقدس من هدف حروبنا الأوربية لأنها قضية الحضارة المقدسة، قضية الأفكار المسيحية الخالدة التي وعدها الإله السيادة على العالم والتي سندها العبقرية الفرنسية»[45].

أما كاتب بوجو الخاص لويس فيبّو فقد بالغ في النيل من الإسلام والمسلمين في الجزائر، وعمل كذلك على إثارة الحقد الصليبي في كتابه المطبوع أزيد من عشر مرات والموجّه إلى الجمهور الفرنسي العريض. وسرعة نفاده من الأسواق دليل على تقبّل الفرنسيين ماجاء فيه واعتمادهم لآرائه وعواطفه الدينية[46].

جاء في مقدمة كتابه، وقد سبق ذكره : «أزفت آخر أيام الإسلام (...) إنّ الهلال الذي هُوجم في كلّ موضع ينكسر ويتلاشى، إنّ الإله يبعده ويرسله في الوقت المعلوم إلى الصحراء التي ظهر فيها ليهلك فيها»[47].

وجاء في موضع آخر من كتابه هذا : «وَدِدتُ في هذه الأثناء (سنة 1841) أن أرتدي بذلة جنودنا وأحس وقع إحدى هذه السيوف على فخذي، فهي سيوف الإله الموجهة تجاه أعتى أعدائه»[48].

وأما الجنرال دي لامورسيير (De la Moricière) الذي حلّ بالجزائر مع جنود الحملة سنة 1830 ثم رُقّي إلى رتبة جنرال في الجيش الفرنسي ثم وزيرا في الجمهورية الفرنسية سنة 1847، والذي استسلم له الأمير عبد القادر في نفس السنة بعد جهاد دام قرابة خمسة عشرة سنة، فإنّه لم يخرج هو كذلك عن سنّة سابقيه. فقد حوّل مسجدا إلى كنيسة بوهران، وكان جد متحمّس لنشر المسيحية في الجزائر، والكلمات التالية الموجّهة إلى البابا جلية في هذا المعنى : «لقد رأيت الآباء يعملون (أي رجال الدين المبشرين)، لقد أحببتهم، وقد علّموني أنّه يوجد انتصار

آخر فوق كلّ إنتصار هو ذلك الذي ننتصر فيه للمسيح أكثر من أي إنتصار لقهر العالم».

فردّ عليه البابا بهاته الرسالة : «عزيزي، أبعث إليكم بوسام المسيح الذي أحسنتم خدمته والذي أتمنى أن يكون مكافأة منا إليكم»[49].

وقد جاء في الجزء الأول من مؤلّف كيلر الذي أرّخ بإسهاب وتفصيل لحياة دي لامورسيير العسكرية والسياسية والدينية في مجلدين كاملين هذه المادة التي لها صلة بموضوع بحثنا :

ردّ دي لامورسيير يوم 1832/01/10 على الذين كانوا يُيئِّسونه من مواصلة الحرب ضد الجزائريين بأنه «عند الشعوب المتخلّفة (هكذا كان يعتبر الجزائريين) فإنّ الحرب بمثابة عمل ديني حقيقي، وأنّ الإحتلال عامل قوي لجلب الأفكار. لذلك فلابد أن يحمل السلاح رجالٌ لمدة طويلة بين حدود الحضارة والبربرية كما هو الحال في الجزائر».

ويوضّح الكاتب أكثر طبيعة الأفكار التي كان دي لامورسيير يريد أن تنتصر في الجزائر : «إنّ الصراع العملي للحضارة المسيحية ضد البربرية الإسلامية بضروراتها في كلّ حين، سيصبح أكبر اهتمام في حياته (...) إنّ إتصاله بالمسلمين نفسه قد أعاده تدريجيا إلى العقيدة الكاثوليكية ركيزة المجتمع الفرنسي، والقادرة وحدها على إدامة العائلة وتأسيس الحرية السياسية والمدنية والضامنة لتفوّقنا على العرب»[50].

ومعلوم أنّ الجنرال دي لامورسيير قد تولى قيادة جيوش الفاتيكان بعد عزله إثر ثورة 1848 في فرنسا. وإليه يُنسب التصريح التالي : «إنّ المسيحية ليست فقط دين العالَم المتحضّر ولكنها أساس وحياة الحضارة نفسها منذ أن أصبحت البابوية مركز المسيحية»[51].

وكسابقيه الذين أرّخوا للقادة العسكريين في الجزائر فإنّ كيلر هو نفسه معجب بأفكار الجنرال ومتحمّس دينيا مثله. فقد اعتبر أنّ «العناية الإلهية أرادت أن يسلّم

Créé avec
nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

عبد القادر (الأمير) سيفه إلى الذي هزمه فعلا (...) (أي دي لامورسيير) وكان يمثل حقيقة المقاتل المسيحي المنتصر على الإسلام، والحضارة مروِّضة البربرية»[52].

وجاء في موضع آخر من كتابه : «لاأحد أصبح يعتقد في إندماج المعمّرين بالأهالي، هذا الإندماج ممكن بين أمم العائلة الأوربية الكبيرة التي حضارتها هي بنت دين واحد ، لكنها مستحيلة مع المسلمين لأنّ القرآن يضع عندهم العائلة والمجتمع في قالب مغاير تماما»[53].

وعلى ذكر ثورة 1848 التي غيّرت مجرى الحياة السياسية للجنرال دي لامورسيير، فإنّ الثوريين «اللاتكيين» حسب قاموسهم الإيديولوجي بالطبع، قد أنشدوا بحماس النشيد التالي حينما كانوا يتهيّؤون للإنتقال من حبسهم بـ : (Belle Isle) سنة 1851 للإلتحاق بالجيش الفرنسي في الجزائر :

تحت السماء المحرقة الجزائرية
إذا سمح الإله لنا بأصدقاء
سندعوا إلى الجمهورية طوائف محمد[54]
فلنُقم الحواجز حتى في الصحراء
وليدوّي رصاصنا من وراء البحار[55]

وليلاحظ القارئ وصفهم للجزائريين وصفا دينيا بتسميتهم «طوائف محمد»، وكفاه تعبير دالٌ على ماكانت تنطوي عليه أنفسهم وبأي منظار كانوا ينظرون إلى الجزائريين.

ومعلوم أنّ الشعر الشعبي المتداول في كل أوربا إلى عهد قريب وهو مايسمى بأغاني التُروبادور الحماسية هي ميراث الحقد المورروث عن الحروب الصليبية، يدعو «المؤمنين» في مقطع إلى قتل «المحمديِّين» والتنكيل بهم تقربا إلى البابوية وتكفيرا عن الخطايا !

وأما الجنرال راندون (Randon) الذي عُين حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر 1851، والذي ركّز على استئصال المقاومة الجزائرية ببلاد القبائل على

الخصوص، فإنّ كاتب تقرير رسمي إلى وزير الحربية الفرنسي تحت عنوان : «الديانة المسيحية وتطور إنتشارها في الجزائر» يُثني عليه بهذه العبارات : «(...) فليس هناك أحسن منه (أي راندون) في دعم وتطوير المؤسسات (الدينية المسيحية) التي أنشئت في عهد سابقيه»[56].

وكانت «أخوات الرجاء الطيب» اللائي قدمن في عهده إلى الجزائر تحت رعاية زوجته. وقد كثر بناء الكنائس في عهد راندون بالمقاطعات الثلاثة، حسب التقسيم الإداري للجزائر آنذاك، فعدّ نفس التقرير إنجاز سبع كنائس جديدة في مقاطعة الجزائر، وكنيستين في مقاطعة وهران وكذلك كنيستين بمقاطعة قسنطينة. وذكر نفس التقرير كذلك أن سبع كنائس أخرى في مناطق مختلفة من الجزائر كانت في طور الإنجاز، وأنّ مشاريع إنشاء كنائس أخرى كانت مهيّأة[57].

وكان الجنرال راندون يصطحب الآساقفة عند خروجه لحرب الجزائريين ليُضفي على هذه الحرب بُعدا دينيا، فبعد إنتصار الفرنسيين على المقاومة الجزائرية في منطقة القبائل تحت القيادة الروحية للثائرة لالة فاطمة، ذهب الفرنسيون إلى عين الحمام ومعهم الأسقف بافي وأطلقوا عليها إسم حصن الأمبراطور، فبارك الأسقف هذا العمل وذكّرهم أنّ المنطقة كانت مسيحية في يوم من الأيام. ثم خطب راندون خطبة شجع فيها الجنود وذكر أنّهم عادوا بعد إقصاء الرومان من هذا البلد[58].

ولا يختلف عهد نابليون الثالث في الحقيقة عن عهد سابقيه وإن أوّل بعض الكتاب مثل إيميريت[59] سوء تفاهم السلطة الفرنسية في فرنسا وفي الجزائر مع رجال الدين المسيحيين إلى «صراع» بين الطرفين.

وقد وصف تقرير عثماني سياسة نابليون الدينية بمايلي : «سياسة إرتجالية إتسمت في كثير من الأحيان بالتناقض، وموقفه المتشدِّد باديْ الأمر تجاه المبشرين ثم تسامحه وإفساح المجال لنشاطهم، لايخضع لأي مبدإ واضح ولاتبرِّره أية قاعدة سياسية، ولعل للأمبراطورة زوجته بعض التأثير في ذلك خصوصا إذا علمنا أنها كانت متدينة (...)»[60].

أفادنا هذا التقرير بأن زوجة نابليون الثالث كانت متدينة ومتحمّسة لنشاط المبشرين ومعينة لهم. أما عن الخلاف ـ ولاوجود لصراع ألبتة ـ فإذا أمعنا فيه النظر وجدناه في الحقيقة خلافا تكتيكيّا لاجوهريا بين أمبراطور فرنسا وحاكم الجزائر ماك ماهون ورجال الدين المسيحيين. فنشاط «المبشرين» في الجزائر بالطريقة التي سلكوها كان مثيرا للجزائريين في وقت كانت فيه المقاومة الجزائرية المسلحة مستمرة،[61] (وسنذكر بعض الأمثلة في الفترة مابين 1867 إلى 1870 لاحقا) فخشي الأمبراطور وماك ماهون أن يزيد «المبشرون» في تعقيد الوضع العسكري في الجزائر، ولم يستمر هذا التحفظ بتغيُّر الحاكم العام في الجزائر، وسنرى لاحقا إعلان دي ڤيدون (De Gueydon) صراحة عن حرية التبشير وإعانته إعانة معنوية ومادية.

كذلك فإنّ الخلاف بين نابليون وماك ماهون من جهة ورجال الدين المسيحيين من جهة أخرى كان نتيجة تطلّع فرنسا إلى منافسة الإنجليز في أمريكا الجنوبية، في المكسيك بالخصوص (1857) حتى لاتغيب عن مسرح الأحداث العالمية آنذاك. كما عرف عهد نابليون الثالث حرب القرم (إنتهت سنة 1855)، ومعلوم أنّ الجزائريين قد «شاركوا» في الحربين، لذا كانت الحكمة السياسية تقتضي التحفظ من الدعم المباشر للمبشرين وتشجيعهم علنا حتى يدافع الجزائريون في حروب فرنسا الخارجية أفضل دفاع عن مصالحها.

غير أنّ الثابت في الأيديولوجية الفرنسية لم يتغيّر قط في عهد نابليون الثالث، بل أضحت أمرا مقننا يُخضع الجزائري إلى التخلي عن أحواله الشخصية الإسلامية وهي جزء من الدين، إذا أراد أن يصبح مواطنا فرنسيا كامل الحقوق في الجزائر.

وهذا أحد مضامين قانون سناتوس كونسولت (Senatus Consult)، أي قانون مجلس الشيوخ، الذي صدر في عهد نابليون الثالث سنة 1865. وهو إن صحّ التعبير، «تبشير» بالترغيب المادي والمكانة الإجتماعية وبالأمن في ظروف قهر وتسلّط وفاقة كان وقعها مجتمعة شديدا قاسيا على الجزائريين.

Créé avec
nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

ولعلّ أكبر متحمّس لتمسيح الجزائريين من الحكام العامين كان الأميرال دي قيدون (De Gueydon) حتى لقبه المعمرون بـ «الأميرال كردينال»[62] وقد أعلنها حربا مكشوفة على المسلمين والإسلام في الجزائر بمراقبته الشديدة الدائمة للطرق الدينية وإهمال المؤسسات الدينية الإسلامية[63] ومنع الجزائريين من أداء فريضة الحج، وفي المقابل أطلق اليد الطولى للمبشرين بقيادة الكاردينال لافيجري للنشاط الواسع في الجزائر وأمدّهم بالدعم المادي والحماية.

وكان دي قيدون يردّد علنا : «أمضيت حياتي في حماية البعثات الكاثوليكية في كلّ بحار العالم، فلن أسمح أن تضطهد على أرض فرنسية، فالتحفظ الكبير لازم، وكذا حسن الآداء بالأفعال لا بالخطب، غير أنّه حان الوقت لنشرك بالتدرج الشعب المغلوب (أي الجزائريين) في الحضارة المسيحية».

وقد استغلّ الكردينال لافيجري تشجيع ودعم دي قيدون فجمع إثر مجاعة 1867 ـ 1868 حوالي 1750 طفلا تتراوح أعمار أغلبيتهم بين الثامنة والعاشرة قصد تربيتهم تربية نصرانية. ولم تفلح طلبات أهلهم وذويهم لإستردادهم من أيدي لافيجري لأنّ الحاكم العام والإدارة المحلية في الجزائر لم يحركوا ساكنا، كما لم يفلح مسعى المستشارين العامين الجزائريين الثلاث الذين انتقلوا إلى باريس واتصلوا بالسلطات الفرنسية لنفس الغرض بعد أن جمّدت العدالة المحلية دعاويهم.

وحسب المؤرخ الفرنسي أجْرون الذي نقلنا عنه هذه المادة، فإنه لم يرجع من 1750 طفل إلى أهلهم إلا مائتان (200). وذكر أنّ ستمائة منهم (600) قد هلكوا دون أن يذكر سبب أو أسباب هلاكهم، أهي آثار المجاعة والمرض الذي كان السبب فيهما الفرنسيون الذين صادروا أملاك الجزائريين وأفقروهم ليَسْهُلَ إنقيادهم إليهم ؟ أم بسبب إضرابهم عن الطعام والشراب حتى يُرَدّوا إلى أهلهم ؟ أم بسبب آخر ؟ كلّ الإحتمالات واردة. ولم يبق عند لافيجري حسب نفس الكاتب سنة 1871 إلا ثلاثمائة وثمانية وسبعون (378) طفلا وثلاثمائة وإثنان وأربعون (342) بنتا، نُقل منهم ثلاثمائة (300) إلى فرنسا ووُضع قسم آخر منهم بالحراش، والبقية بقريتين أنشئتا بمنطقة العطاف[64].

Créé avec
nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

وفي نفس الفترة (1868) اشتكى السيد محمد السعيد بن علي الشريف مقدّم زاوية أقبو لنائب الحاكم العام بقوة وعزة إستفزازات الكاردينال لافيجري : «لقد قرأتُ رسالة لافيجري المؤرخة يوم 6 أبريل والتي أعلن فيها عزمه على استبدال القرآن بالإنجيل لإعادة الحياة للشعب العربي. لقد كان وقع هذه الرسالة شديدا على المسلمين. إنني رجل دين، وكلّ مسلمي جيلي يفكّرون مثلي : إننا نفضّل أن نرى أولادنا يموتون كلهم من أن نراهم يصبحوا مسيحيين. فليس هناك مساومة في هذا الأمر. لقد وعدتمونا بعدم المساس بديننا، فإذا أخلفتم هذا الوعد وخالفتم قسمكم فإننا بالمقابل غير ملزمين بوعدنا تجاهكم»[65].

غير أنّ شكاوى واحتجاجات السيد ابن علي الشريف ظلّت دون استجابة حيث كثُر تحرك المبشرين في منطقة القبائل، وسكان المنطقة لهم بالمرصاد. فقد جاء في تقرير رسمي فرنسي أنّه كادت «تحدث اضطرابات يوم 12 جوان في سوق بني منقلات حيث همّ حوالي ثمانية إلى عشرة آلاف قبائلي بقتل أمين قرية (مشرف على قرية) لأنه بعث برسالة إلى اليسوعيين»[66].

وفي سنة 1870 أثارت من جديد محاولة «أخوات العقيدة المسيحية» اختطاف بنتين من أهلهما منطقة القبائل. فأمام تكرّر إستفزازات المبشرين وتواطئ الإدارة معهم، إضطرّ أعيان من تيزي وزّو وعين الحمام إلى الهجرة إلى سوريا[67].

وتجدر الإشارة إلى أنّ المرشال نيل (Niel) وزير الحربية آنذاك، والجنرال صوني (Sonis) الذي ثمّن مهمة لافيجري بأنّها «المهمة الوحيدة التي يمكنها أن تقدم الحقيقة إلى هذا الشعب» (يقصد الشعب الجزائري)، والجنرال ومفان (Wimpfen) الذي اعتبر تنشئة لافيجري يتامى المسلمين على المسيحية «كأجمل وأجل مشاريع هذا القرن»، والطبيب فارنيي (Warnier) (كان عضوا في المجلس الوطني) الذي كتب إلى لافجري يطمئنه ويحثه على مواصلة عمله بهذه العبارات : «آمل أن تستمر في نشاطك من أجل انتصار الحضارة وبعث الكنيسة الإفريقية وسط هؤلاء الجبليين الذين كانوا مسلمين بالإسم فقط»[68] فكل هؤلاء كانوا حرصين على أن تُقتَلَع جذور الإسلام من الجزائر وأن تحلّ محلّه المسيحية.

القسم الثاني

تواصل هذه الروح في القرن العشرين :

ولعلّ أبرز مظهر للروح الصليبية عند الفرنسيين في العشرية الأولى من هذا القرن محاولة بلدية العاصمة تهديم مسجدي العاصمة الكبير والجديد سنة 1909 لإعادة بناء الواجهة البحرية للقصبة السفلى. وقد لخّص الأستاذ مينيي (MEYNIER) هذه الحادثة عن جريدة الأخبار (L'AKHBAR) بتاريخ 28 ماي 1913 بمايلي : «إحتجّ المستشار البلدي دي رودون دي كولومبيي (De Redon de Colombier) لأنّه لاتقطع في العاصمة كلّ هذه «الأشجار العربية». وفي نفس الأثناء كان الحديث في البلدية بخصوص تهديم المسجدين الجديد والكبيرلبناء عمارات رغم تصنيفهما كمَعْلمين تاريخيين منذ سنة 1865. إنّ المشروع الذي حضّره دي رودون، المهندس المدني، توقع إعادة بناء الواجهة البحرية بضواحي ساحة الحكومة وحيّز واسع من القصبة السفلى.

وبعد تظاهر آلاف من الجزائريين أمام مقر البلدية تدخّل الحاكم العام جونار، فأقبر المجلس البلدي هذا المشروع في شهر جوان 1909.

«وعادت القضية إلى الواجهة في السنة الموالية (1910) حيث استطاع دي رودون أن يحصل على عشرين صوت مقابل ستة عشر (أصوات أعضاء المجلس البلدي) لصالح مشروعه. وقد صوّت رئيس البلدية، وكان في نفس الوقت رئيس لجنة حماية الجزائر القديمة، شارل دي غالون (Charles de Galland) لصالح المشروع.

"وقد إستدعى الأمر تدخل مدير جريدة الأخبار (L'AKHBAR) باروكان (Barrucand) لدى بريان (Briand)[69] الذي وعده بأنّ المسجدين سيبقيان مصنّفان دائما كمَعْلمين تاريخيين، وبهذه الصفة فلن يُهدّما.

«وقد وجّهت رسالة احتجاج إلى أكاديمية الكتابات الأثرية والنقوش التي يشرف عليها ستيفان غزيل (Stéfane Gsell)، وكذا مراسله بالجزائر. وقد احتجت

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

كذلك أكاديمية الفنون الجميلة والصحافة الباريسية وطالبت بأن تُدين لجنة حماية الجزائر رئيسها غالون، الذي استقال من منصبه. أما دي رودون فقد غضب غضبا شديدا رغم انتخابه عضوا بالوفود المالية[70] واضطر إلى تغيير مخطط أعماله (...) وبعد هذه الحادثة إكتسب دي رودون شعبية واسعة في كل البلد»[71].

مايلفت الإنتباه من قراءة هذا الوصف للحدث أنّ الحاكم العام جونار لم يتدخل سنة 1909 لمنع تهديم المسجدين إلا بعد تظاهر الجزائريين بكثافة، ثم غاب كلّ أثر تدخل بالمنع من طرفه في السنة الموالية مع أنّه بقي حاكما عاما بالجزائر[72] فالصمت في حقه كأوّل مسؤول في الجزائر موافقة على المشروع.

ثم إنّ الذين تدخّلوا من الفرنسيين من ليبراليين وشخصيات علمية ومؤسسات ثقافية لمنع تهديم المسجدين قد اعتبروهما مَعْلمين تاريخيين، أي أنهم تدخلوا لحماية آثار قديمة راقية في الجزائر لاليدافعوا عن مكانين للعبادة باسم ضمان حرية العبادة وأماكنها مثلا، أو إستندوا إلى معاهدة القصبة (4 جويلية 1830) التي تضمن للمسلمين في الجزائر حق العبادة وأماكنها. فمنطلق الدفاع عن المسجدين في حد ذاته ـ مع تقديرنا لشجاعة أصحابه ـ ينفي دون شك إحترام الراغبين في التدمير والمدافعين عن المسجدين على السواء للإسلام في الجزائر. فالفريق الأوّل كان حريصا على إزالة المعالم الدينية التي تذكّر الناس بدينهم وتشع على العاصمة بضياء الإسلام[73]. وأما الفريق الثاني المدافع عن المسجدين كمَعْلمين تاريخيين لاكمؤسّستين دينيتين فإنما كان همّهم أن تُحفظ الآثار العمرانية لاأن يوجّهوا المسلمين بدفاعهم عن المسجدين إلى التمسّك بالدين وارتيادهما والمحافظة على القيم الدينية الإسلامية.

وأخيرا فإنّ السمعة الحسنة الواسعة التي حصّل عليها دي رودون بين المعمرين الأوروبيين في الجزائر بسبب حرصه الشديد على تهديم المسجدين تغني عن كل تعليق.

ولانغادر عهد جونار بالجزائر دون الإشارة إلى تدعيم قانون سناتون كونسولت (1865) بقانون 4 فبراير 1919 المدعو «قانون جونار» الذي أكّد من جديد الزامية

التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية للحصول على حقوق المواطنة الفرنسية(74).

أما خلفه شارل لوطو (Charles LUTAUD) فإنه هو كذلك كان يؤمن ايمانا عميقا بانتصار الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية وإن انتسب إلى الماسونية التي كانت آنذاك تعلن دفاعها عن حقوق الإنسان والأخوّة الإنسانية العامة. فقد خطب في جمع من الشباب الجزائري الإندماجي بمدينة تلمسان بهذه العبارات : «إنني من الذين يثقون بعمق في وحدة الجنس البشري وفي كلّ مرة يحصل فيها شخص على محاسن التعليم (الفرنسي) والحضارة فإنه سيتقرّب منا. وبعد مراحل متتالية يمكنه الحصول على نفس حقوقنا. إنّه قانون التطور البطيء، لكنه حتمي (...) وفي اليوم الذي يكون للشباب الأهلي نفس تعليمنا، وعندما يتخلّى عن بعض الخلفيات، حينها يمكن قبول كل طلباتهم»(75).

وقد أوضح لوطو هذا الإجمال في مناسبة أخرى حين صرّح بأنّ «المواطنة في إطار القانون الإسلامي (أي الشريعة) ليست فقط جارجة لقانوننا العام والخاص بل هي خطيرة كذلك على سيادتنا في الجزائر»(76).

في نفس الفترة، أي أثناء الحرب العالمية الأولى (1916) سعت لجنة ترأسها اليساري الفرنسي هيريو (Herriot) لجمع المال لبناء مسجد باريس(77)، غير أنّ هذه اللجنة قد وجدت معارضة صارمة من الحاكم العام لوطو باسم «الحياد الديني» واقترح نفس الحاكم بأن تُبنى «دار للضيوف» بالنظر إلى قلة الذين يتردّدون على مسجد نوجان (Nogent)(78) لكن دوتي (Doutté) بقي متمسّكا بمشروع بناء مسجد باريس ورغب أن يلحق بجامعة إسلامية فرنسية. لكن الحكومة الفرنسية تبنّت موقف الحاكم العام فرفضت إمداد المشروع بالمال اللازم بحجة تعارض هذا الفعل مع لائكية الدولة الفرنسية. وتأجّل هكذا بناء مسجد باريس والمعهد الإسلامي إلى سنة 1926(79).

مرة أخرى تنكشف نوايا الحكام العامين والمسؤولين الفرنسيين تجاه القضايا الدينية الإسلامية. فكيف يرفض المشروع باسم «لائكية الدولة» ثم يحقق بعد مرور

Créé avec
nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

عشر سنوات ؟ فهل تغيّر القانون الذي يمنع هذا أم أنّ الذين رفضوا المشروع قد تغيّروا ؟ الظاهر أنّ الذين رفضوا المشروع هم الذين تغيّروا. ثم إنّ الذين سمحوا بتحقيقه سنة 1926 كانوا يسعون إلى تجسيد «الإسلام الفرنسي» عن طريق مثل هذه المؤسسات، وهو سبيل لايخلو في النهاية من مثل خطر المحاربة المكشوفة، بل قد يكون أخطر منها. فالقوم على قلب واحد لكن سبلهم في تحقيق ذات الهدف مختلفة.

مظهر آخر لهذه الروح أثناء الحرب العالمية الأولى وجدناه عند القائد العسكري لابيرين (Laperrine) الذي أرسل التعليمة التالية بتاريخ 16 أبريل 1917 إثر مقتل دي فوكُو إلى القيادة العسكرية بتمنراست : «أما بخصوص مقتل الأب دي فوكو (De Foucauld) فإنّ العقوبة يجب أن تمتد لا إلى الجماعة التي أقبلت إلى تمنراست فقط (يقصد الذين قتلوا دي فُوكُو) ولكن إلى المخبرين والمتواطئين. يجب الوصول دون مراعاة للزمن إلى وضع القائمة الكاملة للمسؤولين عن هذه الجريمة، وامحوا أسماء الذين سوف يقتلون الواحد تِلْوَ الآخر»(80).

فدي فوكُو مُخبرٌ عسكري أولا و «مبشر» في نفس الوقت. وقد إهتم بالصحراء الجزائرية وبلغة التوارق وقد ترك قاموسا من أربعة مجلدات في هذه اللغة، وليس غرضنا هنا الكشف عن مهمة دي فُوكو العسكرية في الصحراء ولاغرضه من الكتابة في موضوع اللغة الترقية، وإنما موقف القائد العسكري لابيرين. فهو يلقّب دي فوكو بـ «الأب» في مراسلة داخلية رسمية بينه وبين قواده العسكريين مما يُضفي عليها طابعا دينيا واضح الأثر، ثم إن إكبار لابيرين «للأب» دي فوكو أملى عليه ذلك الحرص على الإنتقام الشديد من قاتليه.

وننهي الحديث عن هذه الفترة الزمنية بالتنبيه إلى أن البند الثامن والثلاثين بعد الأربعمائة من معاهدة فرساي التي أمضاها قادة أوربا وأمريكا عقب الحرب الكونية الأولى، قد نصّ على حرية وجواز التبشير(81).

أما عن فترة مابين الحربين العالميتين فقد جمعنا مجموعة من المظاهر تنم عن بقاء الروح الصليبية في جيل القرن العشرين. ففي سنة 1921، لام السيد ابن

رحال[82] في تدخله أمام القسم العربي في الوفود المالية الإدارة التي أهملت كلية تدريس اللغة العربية في المستوى الإبتدائي، واقترح أن تدرّس اللغة العربية من طرف جزائريين وبأقل تكلفة. كما اقترح تحفيظ القرآن الكريم للتلاميذ الجزائريين : «فلا أحبّ إلى قلب المسلم من اللغة التي يتجرّعها مع حليب أمه والتي يقرأ بها الكتاب المقدس والتي يذكر بها الله».

فأثار تدخله هذا غيض صحفي من جريدة صدى الجزائر (L'Echo d'Alger) التابعة لغلاة المعمرين الذي كتب راداً عليه بسخرية بما يلي : «بعد تسعين سنة من «الثقافة الفرنسية» يعارض عرب وبربر الجزائر (كذا) الفكر الفرنسي بالمذهب الفلسفي للقرآن. إنّ ماقمنا به لصالحهم لا قيمة له، فإنّهم لم يحتفظوا إلاّ بشيء واحد وهو أنّه بإمكاننا أن نساعدهم على التطوّر ويطلبون أن يكون ذلك في اتجاه الإسلام»[83].

وفي سنة 1924 صرّح المستشار غاسير (Gasser) بأن الجزائري سيبقى متخلّفا مابقي متمسّكا بالإسلام : «لن يتطوّر الجزائري مادام مسلما لأنّ الدين الإسلامي غير متلائم مع التطوّر»[84] وفي أواخر نفس السنة ذكر الشيخ محمد خير الدين وهو من شيوخ الإصلاح في الجزائر، بأنّه تلقى دعوة مستعجلة من الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس «وسلّمني رسالة وصلت إليه من رئيس شعبة جمعية العلماء بورقلة يقول فيها : إنّ الحاكم قد حولّ السلطة لقساوسة الآباء البيض في منع المسلمين من الصلاة في المسجد ونقل التلاميذ من المدارس القرآنية إلى مراكز التبشير بإشراف رجل جزائري يدعى يوسف صالح كان يعلّم أبناء المسلمين في الكتاتيب القرآنية ثم تنصّر، وكلّفه القساوسة بتنشئة التلاميذ على الدين المسيحي وتلقينهم الأناشيد الدينية المسيحية (...)»[85].

وفي مدينة تبسة استدعى حاكمها الشيخ العربي التبسي وقابله متحمّسا مستفزا بهذه الجملة : «تريدون بعث القرآن ؟ أما نحن فنريد قبره !»[86].

وغداة استسلام المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي بالريف المغربي سنة 1926، كتبت جريدة أوربية بقسنطينة هذه الإفتتاحية : «استسلم عبد الكريم بلا

Créé avec nitro PDF professional

télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

قيد ولا شرط والتمس حماية فرنسا، ذلك ماكنا نتمناه. وإنّ الحادثة لمن الأهمية بمكان، فإنّها تتعدى كما كتبناه آنفا حدود شمال إفريقيا، فهي طعنة نجلاء طعنت الإسلام في الصميم. وفي وسعنا الآن أن نفتك بهذا الدين الفتك الذريع ونقضي عليه القضاء المبرم»[87].

وإثر الإحتفال الضخم الصاخب الذي أقامه الفرنسيون بالجزائر سنة 1930 بمناسبة مرور مائة عام على احتلالهم لهذا البلد، فقد تعالت فيه مظاهر الصليبية سواء في الإحتفال نفسه الذي اشهر فيه رجال الدين صلبانهم عالية أم في تصريحات المسؤولين الفرنسيين. قال حاكم تبسة الذي حضر هذا الإحتفال والآذان صاغية إليه راضية : «إننا جئنا إلى الجزائر لندفن القرآن»[88].

وفي نفس السنة دافع وزير الخارجية الفرنسي بحماس عن جمعيات التبشير أمام البرلمان الفرنسي حتى تنال حظها الوافر من الدعم المالي للقيام بنشر المسيحية خارج حدود فرنسا. وقد كتب الشيخ محي الدين القليبي (الذي خلف الشيخ عبد العزيز الثعالبي في إدارة الحزب الحر الدستوري التونسي) : «ولقد كان أجلى مظهر لهذه السياسة في الموقف الذي وقفه وزير خارجية فرنسا أمام البرلمان، عندما وقعت المناقشة بشأن فصول من الميزانية الفرنسوية تتضمّن العناية بجمعيات التبشير ومحاولة الإعتراف بها، إذ قال مامفاده : «إنّ فرنسا غير متديّنة داخل حدودها، وإنها متديّنة في الخارج» فلقد أوجدت هذه التصريحات روحا جديدا في دعاة الكنيسة الكاثوليكية أصبحوا بها وكأنما نشطوا من عقال لمحاولة تنصير مسلمي شمال افريقيا، ولعلّ هذا هو الذي جرّأهم على إقامة المؤتمر الأفخارستي فوق أطلال قرطاجنة في هذه الأيام»[89].

وفي الثلاثينات عرفت جمعية العلماء منذ تأسيسها في ماي 1931 سلسلة من المضايقات والمتابعات والتهديدات لأنها عزمت على إحياء اللغة العربية والدين الإسلامي بخلفية وطنية في الجزائر. وأهم القوانين التي أصدرتها الإدارة الفرنسية بهذا الصدد قانون رينيي (Reynier) سنة 1933 وقرار 8 مارس 1938. ومجمل ماجاء في هذا القانون وقرار 8 مارس وضع قيود خانقة على الصحافة الإصلاحية

الصادرة باللغة العربية وعلى حرية تعليم هذه اللغة واشتراط الرخصة الرسمية لمن كان يريد التدريس في المساجد، ولم تسلم حتى الصحف الصادرة عن جزائريين باللغة الفرنسية.

وقد علّق الحاج أحمد مصالي زعيم نجم شمال إفريقيا آنذاك على مضمون أحد هذه القوانين المقيدة الزجرية يوم 26 ماي 1934 بباريس أمام ستمائة مستمع بهذه العبارات : «إنّ رغبة الحكومة في منع الصحافة العربية الناطقة باللغة الفرنسية، يظهر جليًا ويؤكّد سياستها القمعية. والأخطر من ذلك فإنّ تقنين التعليم القرآني يهدف إلى محو تقاليد الثقافة الإسلامية. وأما قرار منع العلماء من التدريس في المساجد فهو استفزاز حقيقي للإسلام»[90].

وشهران بعد صدور قرار 8 مارس 1938 عقد المؤتمر الأفخارستي بالجزائر العاصمة من 3 إلى 7 ماي. وقد حضر المؤتمر وفود من الجيش والإدارة، وذكّرت الخطب الرسمية التي ألقيت فيه بتاريخ الحروب الصليبية ونجاح البعثات التبشيرية واحتلال مسجد كتشاوة[91].

وفي شهر مارس من السنة الموالية خرج المشاركون في مؤتمر جمعية العلماء بيقين راسخ بخصوص قرار 8 مارس 1938 الذي اعتبروه معولا لتهديم الإسلام ولغته في الجزائر، وأنّ منع مدرّسي جمعية العلماء لايهدف إلا لنفس الغرض، وأنّ غلق بعض مدارسها كان إيذانا بغلقها كلها.

ولم يكن الحاج أحمد مصالي والعلماء بعيدين عن الصواب فيما اعتقدوه. فخلال قراءاتنا عثرنا على سندين صريحين عن الطرف الفرنسي يثبتان ماخلص إليه مصالي والعلماء. وأول سند مصدره رئيس الحكومة الفرنسي دلاديه (Daladier) الذي تولى الرئاسة بعد سقوط الجبهة الشعبية، والذي قابل وفد المؤتمر الإسلامي الثاني الذي سافر إلى باريس ليقدم عريضة مطالبه بهذه العبارات : «ليس في إمكان فرنسا أن تمنح شعبكم حقوق المساواة مع الشعب الفرنسي مادمتم متمسكين بشريعتكم الإسلامية، وأعلمكم أنّ فرنسا ماتزال قوية وأنّ مدافعها ماتزال طويلة المدى ...»[92].

Créé avec
nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

وأما السند الثاني فصاحبه جاك شوفالي (Jacques chevalier) الذي قيل إنه كان ليبراليا ومتعاونا مع حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية ثم جبهة التحرير أثناء الحرب التحريرية، وقد بقي شوفالي هذا في الجزائر إلى غاية سنة 1963.

فإثر تدخله بصفة نائب في البرلمان الفرنسي يوم 20 أوت 1947 لمناقشة وإثراء مشروع القانون الأساسي الذي صدر في نفس السنة ليطبّق بالجزائر فقد عارض إجبارية تعليم اللغة العربية وبرّر ذلك بقوله : «جعل اللغة العربية إجبارية في التعليم معناه دفع المسلمين أكثر للإسلام وزيادة في أسلمتهم. ومعناه كذلك توثيق الروابط مع الجامعة العربية ومع كلّ الذين يريدون الوصول إلى استقلال الجزائر، وإنه في الأخير إدخال البربر (كذا) عن طريق اللغة تحت نفوذ الإسلام»[93] فإذا كان هذا موقف الليبرالي سياسيا وحضاريا فماذا يقال عن موقف غير الليبرالي ؟

وقبل عرض المادة التي جمعناها عن ذات الروح الصليبية خلال الحرب التحريرية، فلابد من الإشارة إبتداءً إلى أنّ الدعاية العسكرية الفرنسية كانت تجعل دوما «الغرب» (Occident) متلازما مع المسيحية، سواء في فرنسا أم في الجزائر أم في العالم المسيحي[94] وعليه فإن عبارتي «الغرب» أو «الحضارة الغربية» الواردتين لاحقا يجب أن تفهم بهذا المعنى.

وكانت شخصيات سياسية ودينية فرنسية كبيدو (Bidault) ولاكوست وسوستال والكارديتال (Feltin) يعرّفون الثورة الجزائرية للرأي العام الفرنسي والعالمي بأنها حركة دينية متطرّفة في خدمة الجامعة الإسلامية[95] وكان الهدف المرجو من هذا التعريف مزدوجا : تشويه الثورة الجزائرية بانتزاع الفكرة الوطنية الإستقلالية منها من جهة ومن جهة أخرى إثارة حماس المسيحيين في العالم ضد الجزائريين لأنّ المسيحي بطبعه عضد لأخيه ضد المسلم.

وكان جورج بيدو بوصفه وزيرا للخارجية الفرنسية يردّد : «لن أترك الهلال يتغلب على الصليب»[96].

وقد حلّل السيد فرحات عباس السياسة الدينية الفرنسية واستعمالها خلال الحرب ومدى فعاليتها في تقرير رسمي قدم للجنة التنسيق والتنفيذ (CCE) بتاريخ

1958/07/29، وفيما يلي أهم ماجاء فيه بهذا الصدد : «إنّ الشعب الجزائري مسلم، أما فرنسا في المقابل فقد أحرزت عبر تاريخها لقب «البنت الكبرى للكنيسة» وهذا مايضع حرب الجزائر في وضع عاطفي. نحن نعتقد أنّ الإنسانية قد تجاوزت مرحلة الصراعات الدينية، وهذا صحيح جزئيا. لكننا عندما نباشر تحليل ردود الأفعال العميقة عند الناس، فإننا نكتشف آثار ميراث ديني ثقيل. وقد كتب مؤخرا كاتب روسي يدعى دي دودنستيف (De DOUDINSTEV) كتابا يحمل عنوانا ذي دلالة «لايعيش الإنسان بالخبز فقط». وهذا معناه أنّ كلّ الناس يجُرّون وراءهم ماضيهم وإرتباطهم اللاشعوري بمبدإ روحي.

«إنّ فرنسا تستعمل هذه الورقة. فهي تكتيكيًا تحاول عندما يخص الأمر الجزائر أن تضع المشكل في وضع ديني عرقي، فهي تدفع بسوء نيتها حتى النداء إلى الحقد القديم الموروث عن الحروب الصليبية والصراع الذي دام قرونا بين الصليب والهلال».

وبعد ذكره لمقولة جورج بيدو، وزير خارجية فرنسا، وقد سبق إثباتها، أضاف السيد فرحات عباس كاتبا : «في أمريكا الجنوبية بالخصوص إكتشفنا أنّ الدعاية الفرنسية لصالح الإستعمار بالجزائر موجهة أساسا للدفاع عن المسيحية ضد الإسلام، ويقوم بتأييدها عدد كبير من المبشرين الفرنسيين المتواجدين في هذه البلدان.

«ونبقى مندهشين لفعالية هذه الشعارات. إنّ العالم المسيحي الذي تصالح مع اليهودية بقي مغلقا عندما يتعلق الأمر بالإسلام. فبدون منازع إنّنا في هذا الميدان أمام إنبعاث الصراعات القديمة. فخشية القرون الوسطى وذكرى التهديدات التي أثقل بها الإسلام أوربا المسيحية لم تنمح بعد»(97).

ودائما في نفس السياق كانت بعض الجرائد الفرنسية الواسعة الإنتشار تضع هي كذلك حرب الفرنسيين للجزائريين في إطار ديني - صليبي، إما تصريحا أو تلميحا. فقد كتبت جريدة Le Figaro بتاريخ 1954/11/07 تحت هذا العنوان

Créé avec nitroPDF professional

télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

«مجاهدو الحروب الصليبية بعمامات سوداء على الحدود الجزائرية» ومما جاء تحت هذا العنوان : «حسب المعلومات الواردة إلى تونس من الحدود الجزائرية، فقد شوهدت عدة عصابات متمرّدة من التي تنشط في جبال أوراس لابسة بذلات وعمامات سوداء ويسمى أعضاؤها : «جنود الحروب الصليبية».(98) وتعمّد الجريدة ذكر عبارة «جنود الحروب الصليبية» في وصفها للجنود الجزائريين بمثابة المحرك الروحي القوي باستحضار الحقد الصليبي الموروث عن طريق الإيحاء اللفظي. وهي طريقة نفسية معروفة ومضمونة النتائج.

وإثر عمليات 20 أوت 1955 في دوار العلمة بالشرق الجزائري حمل جنودٌ فرنسيون مواطنين جزائريين في طائرات الهليكبتر ورموا بهم من السماء قائلين لهم بتهكّم : «إذهبوا واستنجدوا بمحمّدكم وبمسؤوليكم ليحموكم»(99).

وكان الجنرال آلار (Allard) الذي تولى قيادة الجيش الفرنسي بقسنطينة ثم انتقل إلى الجزائر سنة 1956 مهتما بشرح أهمية الحرب التي كانت تخوضها فرنسا في الجزائر بوصفها (أي فرنسا) آخر «ضامن لبقاء الحضارة الغربية بإفريقيا الشمالية»(100).

مثله مثل العقيد لوروا (Leroy) الذي كتب عنه إيف كوربير هذه الأسطر : «لُورُوا مزاج غريب من إقطاعي واشتراكي و «وحداته المتحركة للدفاع عن القيم المسيحية» التي اتخذت راية ضرب عليها صليبٌ وسيفٌ، قد قضت على الفيتناميين الذين كانوا يتواجدون بالمنطقة التي كانت خاضعة لسلطة لُورُوا (أي إثر الحرب الفيتنامية الفرنسية). فهو منذ فاتح سنة 1956 بمنطقة القبائل يكوّن وحدات أهلية خاصة»(101). وروح لُورُوا الصليبية لم تبق دون شك في فيتنام، فهي راسخة تتبع صاحبها أينما حلّ وارتحل.

وأما العقيد بيجار (Bigeard) قائد المظليّين الذين ساموا الجزائريين سوء العذاب، فقد كان يرفع معنويات جنوده ويحمّسهم بهذه الكلمات : «نحن ندافع عن الغرب، إنّنا هنا (أي بالجزائر) سفراء الصليبيين !»(102).

عقيد فرنسي تميّز بهذه الروح كذلك، وهو بروازا (Broizat)، وقد كان حائزا على الدكتوراه في علم اللاهوت المسيحي، وكان منظّر الحرب الهجومية في الجزائر

ورئيس ديوان الجنرال ماسي (Massu)[103] وكان متحمسًا للغاية للدفاع عن «آخر معقل للغرب المسيحي» (أي الجزائر). وكان يلقب بـ «الجندي الراهب». ولما باشرت الحكومة الفرنسية التفاوض مع جبهة التحرير الوطني إنضم سنة 1961 إلى المنظمة السرية (O.A.S) المعارضة كما هو معروف لإستقلال الجزائر. وبعد إخفاق مشروع هذه المنظمة فرّ بروازا إلى إسبانيا ومنها إلى كليدونيا الجديدة أين تفرّغ لخدمة الدين المسيحي.[104] ونضم إلى العقيد بروازا الجنرال أوليي (Olié) القائد العسكري لعمالة قسنطينة سنة 1958 الذي كان متحمسا للمسيحية[105].

وأما الجنرال دي غول (De Gaulle) الذي تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية في صائفة 1958 فقد كان يحبّ الإجتماع مع الجنود الفرنسيين عندما كان يزور الجزائر. فكان إذا صادفت زيارته للصفوف الأمامية يوم أحد، أقام معهم الصلاة المسيحية (Messe) وقد كتب كلود باياط (C.PAILLAT) واصفا إقامة صلاة مسيحية بأعالي منطقة القبائل في شهر ديسمبر 1958 : «كان العلَم يرفرف (...) عندما حضر الجنرال دي غول وثلاثمائة ضابط مدعوٌ الصلاة في الهواء الطلق (...) وقد تأثر الضباط المدعوّن لبساطة مراسيمها...»[106].

وفي نفس الشهر من نفس السنة، وبمناسبة مغادرة الجنرال صالون (Salan) الجزائر، جرّه دي غول إلى كتدرالية الجزائر ليحضرا معا صلاة مسيحية ضخمة[107].
وإثر إحتفال عسكري في مدينة سعيدة إلتفت الجنرال دي غول إلى العقيد بيجار وقال له : «إنني لأرى كثيرا من صلبان اللورين (Croix de Loraine) على هذه الأعلام، والمفروض أن تدوّي جرُس الكنائس عند وصول رئيس الجمهورية»[108].

وجاء في كتاب الجنرال دي غول الذي يحمل عنوان : مذكرات أمل وهو جزء من سلسلة كتبها الجنرال : «إنّ الأطر والجنود (الذين كانوا يحاربون الجزائريين) هم فخورين بحق. فهم يخوضون صراعا خطيرا، قد يخيّب ظنهم مرات عدة، متعب في بعض الأحيان (...) لكنه هو كذلك نوع من الحرب الصليبية أين تنموا وتتأكد في محيط معزول القيم الخاصة بالمجازفة والفعل (...)».[109] وفي موضع آخر من كتابه هذا يدرج الجنرال عمل المبشرين ضمن ما أسماه بـ «التطور العصري» الذي

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

حُقق خارج الحدود الفرنسية، وجاء ذكره للمبشرين في الترتيب قبل ذكر المهندسين.
كتب دي غول : «إنّ بلدنا معتزٌ بالنجاح الإنساني الذي مثلته بداية التطور العصري الذي حقّق في بلدان ماوراء البحار (أي المستعمرات الفرنسية) وهذا بفضل عمل جمهور غفير من الجنود والإداريين والمعمرين والمعلمين والمبشرين والمهندسين»[110].

ولم يتردّد الجنرال دي غول في إلغاء قانون الأحوال الشخصية الإسلامية واستبداله بالقوانين اللائكية الفرنسية وإلزام الجزائريين بالعمل بها. جاء في مقال في جريدة المجاهد، عدد 45 بتاريخ 1959/07/06 تحت عنوان : «الإستعمار والإسلام في الجزائر» تنبيه واستنكار لهذا الأمر. وقد كتب صاحب المقال الذي لم يذكر إسمه : «بأمر رقم 59274 المؤرخ بيوم 4 فبراير 1959، فإنّ رئيس الجمهورية الفرنسي (دي غول) وبناء على الصلاحيات التي خُوِّلت له قد أمر بتغيير القوانين الإسلامية المتعلقة بالزواج والطلاق. فهذا الأمر قد أمضاه شارل دي غول وصادق عليه كلٌّ من ميشال ديبري، الوزير الأول وجاك سوستال، وزير مفوّض لدى هذا الأخير، وإدموند ميشلي، وزير العدل (...) فكلهم تجرّؤوا على ضرب القرآن وفرضوا على المسلمين الجزائريين القوانين اللائكية الفرنسية وهذا في أقدس مجال وهو مجال الأحوال الشخصية».

و«إعانة» فرنسا لمستعمراتها من منظار دي غول، فإنّها نابعة من رغبة جامحة ونظرة مستقبلية مدروسة لتمكين اللغة الفرنسية كأداة والثقافة الغربية كمحتوى حضاري تحمله هذه اللغة.

كتب دي غول : «حتى تتكلّم بلدان ماوراء البحر لغتنا وتقاسمنا ثقافتنا فلابدّ من إعانتها»[111]. وعن إعانة الجزائر في إطار مشروع قسنطينة كتب الجنرال : «إننا مستعدون لإعانة تنمية الجزائر بإمدادها كل عام بدعم مالي هام وبمواصلة تنفيذ مشروع قسنطينة، وبإعانة مختلف النشاطات بتقنيينا، وباستقبال العمال والطلبة الجزائريين في أوسع مجال، وبإمداد الجزائر بالمعلّمين في كلّ أطوار التعليم الوطني حتى تتكوّن النخبة الجزائرية في الثقافة الفرنسية وحتى يتعلّم الشعب باللغة الفرنسية»[112].

وفي آخر بحثنا هذا نتعرّض إلى عقيدة المنظمة السرية (O.A.S) التي كانت ألدّ عدوٍّ للشعب الجزائري وحريصة على أن تبقى الجزائر فرنسية إلى الأبد. وقد عارضت بشدة الجنرال دي غول عندما دخل في مفاوضات جدية مع جبهة التحرير الوطني سنة 1961، والتي إنتهت في مارس من السنة الموالية باتفاقيات إيفيان التي منحت للجزائر إستقلالها في إطار التعاون مع فرنسا.

وقد حاولت المنظمة السرية أن تقتل دي غول أكثر من مرة، وعملت كل مافي وسعها، بمساندة فعلية من بعض ضباط الجيش السامين الفرنسيين في الجزائر وبعض الشخصيات السياسية الفرنسية في باريس، لتستميل الجيش الفرنسي والفرنسيين إلى موقفها. وكان شعارها الصليب داخل حرف (V) باللغة اللاتينية[113].

وقبل ظهور المنظمة السرية سبقتها تنظيمات وجمعيات أنشأها المعمرون في الجزائر تدافع عن نفس الفكرة بغلاف ديني كذلك. وقد كتب إيف كورير مجملا الحديث عن هذه الجمعيات والتنظيمات مايلي : «أصبح جان جاك سوزوني (J.J.SUSINI) رجل الصليب السلتي (Croix celtique)، وهو شعار بدأت تعرفه الجزائر، وقد أسّس حركته الخاصة وهي الحركة الوطنية الطلابية[114]. وهذا لم يمنعه من اعتلاء منصة الحركة الشعبية 13 (كذا) (MP13) التي أنشأها مارتل معمّر متيجة والتي شعارها «القلب والصليب». وأخيرا إنضمّ الشاب سوزوني بحماس (...) إلى الجبهة الوطنية الفرنسية (FNF) التي أنشأها (Jo ORTIZ) في نوفمبر 1958. وقد اختار أورتيز هو كذلك الصليب السلتي كشعار، وقد أقنعه بحسن هذا الإختيار الإخوة سيدوس (Sidos) الذين أصبحوا أصدقاءه»[115].

وخلال التجمعات والمظاهرات التي نظمت في الجزائر بدفع قوي من الشخصيات السالفة الذكر وغيرها بعد خطاب دي غول بتاريخ 16 سبتمبر 1959 الذي ذكر فيه إمكانية تقرير الجزائريين لمصيرهم، رفع المتظاهرون صلبانا إلى جانب لافتات ترفض ماصرّح به الجنرال ديغول[116].

وأما جبهة الجزائر الفرنسية (F.A.F) التي أنشئت يوم 15 جوان 1960 بالجزائر، فقد وزّعت بعد ظهورها منشورا تصدّرته عبارة لبي الثاني عشر (Pie

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

XII) (أحد رؤساء الفاتيكان) تدعو : «صليبي القرن العشرين إلى إقامة الراية الزرقاء والبيضاء التي عليها قلب وصليب»[117].

وخلال شهر أكتوبر 1960 حضر الجنرال صالون (Salan) أحد أقطاب المنظمة السرية، بباريس صلاة مسيحية خاصة بذكرى القتلى الفرنسين بالجزائر وقد نظم هذه الصلاة الجنرال (Vesinne la Rue) رئيس جمعية الفرنسين العائدين من إفريقيا الجنوبية[118].

ويلاحظ القارىء هذه السنّة الجديدة عند المتحمّسين للجزائر الفرنسية بإحداث صلاة دينية في جوهرها سياسية استعمارية صليبية في أبعادها.

وقد سبق هؤلاء المعمّرون المختلطون ببعض عناصر الجيش الفرنسي إثر محاولة الانقلاب الفاشل بدي غول الذي وقع بالجزائر بتدعيم من مجموعة من الضباط السامين يوم 13 ماي 1960، إذ أقاموا الصلاة المسيحية وراء المتاريس التي نصّبوها[119].

وقد غادر (Lagaillarde) أحد مدبّري هذه المحاولة الفاشلة الجزائر بعد أن أدّى إشارة الصليب تجاه جموع غفيرة من الأوربيين في الجزائر[120].

وجه آخر وأخير من الجنرالات المعارضة لسياسة دي غول الجزائرية وقطب من أقطاب المنظمة السرية الجنرال شال (Challe) الذي توجّه إلى الجنود الفرنسيين المتربصين بأرزيو، بمركز التكوين للحرب المضادة بهذه العبارات : «نرتكب خطأ فادحا عندما ندّعي أنّ على الجيش ألا يمارس السياسة (...) فإذا كانت الحرب سياسية فلابد أن يمارسها الجيش (أي السياسة). فليس الغرض ربح الأحجار، فلابد أن يكون الجيش جيش مبشرين (...) إنني ملزم بأخذ عصا الحاج [121] والذهاب لنشر عقيدة بدونها لن نقوم في الجزائر إلا بحرب شكلية[122].

خاتمة

نرجو أن نكون قد وضعنا أمام القارئ المهتم والباحث المتخصص مجموعة معتبرة من الشواهد الدالة دون ريب عن تمكّن الروح الصليبية في جمهور من الشخصيات الفرنسية المدنية والعسكرية وجمهور المعمرين الفرنسيين. وهكذا نكون أدرجنا العامل الديني بالشواهد التاريخية بعيدا عن كلّ ذاتية، إلى جانب العوامل الأخرى الإقتصادية والجيوسياسية كدافع هام في استعمار الجزائر ودوام الإستعمار فيها إلى غاية 1962.

ولاندّعي أنّ العامل الديني كان هو السبب المباشر لقدوم الفرنسيين إلى الجزائر والسبب الوحيد لبقائهم فيها مائة وثلاثين سنة كاملة، غير أنّه بالمقابل كان عاملا أساسيا ومحركا قويا للساسة وللجيش وعامة الفرنسيين. وقد أوضحنا ذلك في عرضنا للموضوع.

هذا، وقد حرصنا على أن نمثّل لكل الفترة الزمنية التي بقي فيها الإستعمار في الجزائر حتى نبيّن تواصل هذه الروح، وبقاءها حية في الوسط الفرنسي مستمرة حتى خارج الإطار الزماني الذي حدّدناه لبحثنا، ألم يقل جسكار ديستان (Gisard d'Estaing) الذي شغل منصب أمين الدولة المالية سنة 1960 وانتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية بعد الرئيس بونبيدو (Pompidou) - في مناسبة رسمية سنة 1977 بأن «فرنسا هي وريثة روما إذ هي البنت الكبرى لروما ثم للكنيسة»[(123)].

وجدّ هام في اعتقادنا أن يكون هذا البحث فصلا لكتاب عام عن تاريخ الجزائر بين 1830 - 1962 حتى نخرج بل نتخلص من مناهج المدرسة الغربية والفرنسية بالخصوص التي درست تاريخنا من زاوية التأريخ للفرنسيين من جهة، ومن جهة أخرى فقد اعتمدت إيديولوجية مادية لتفسير الأحداث التاريخية، وبالتالي فقد ألغت أو قلّصت إلى أبعد حدٍّ أهمية الدين كمحرك معتبر لهذه الأحداث، لاتماشيا مع ماحدث فعلا بل من منطلق ذاتي مؤوّل.

Créé avec
nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

الهوامش

1) - في موضوع الحركة التبشيرية في الجزائر في القرن التاسع عشر أنظر كتاب خديجة بقطاش.

2) - العبارة للأستاذ د. عبد الجليل التميمي، وهي جزء من عنوان مقاله : «التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر». المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، 1974، ص 12-24.

3) - يراجع بهذا الصدد كتابات (لورُوا بُوليو) (Leroy Beaulieu) منظّر السياسة الإستعمارية في القرن 19، ومؤلف : Gilbert MEYNIER, L'Algérie révélée, Librairie Droz, Genève, 1981 وبالخصوص ص 35 - 44 - 183 التي عرض فيها الكاتب مفاهيم مجموعة من المنظرين الفرنسيين في «السياسة الأهلية» في الثلث الأول من القرن 20.

4 - Roger Garaudy, Appel aux vivants, éd. du Seuil, Paris, 1979, p.58.

5) - عن كتاب الإسلام على مفترق الطرق، تأليف ليوبلود فايس (محمد أسد)، ترجمة د.عمر فروخ، نقلا عن سيد قطب، العدالة الإجتماعية في الإسلام، ط5، دار الشروق، 1978، ص 257.

6) Revue Africaine, Septantième année, vol. 70, Alger, 1929, Printed in suisse, pp. 215-241.
وجاء طلب وزير الحربية ضمن تقرير مطول حوى 26 صفحة كاملة.

7) - د. عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 14.

8) - تصريح وزير الخارجية الفرنسي البارون دي داماس، وقد ذكره :
Amar HAMDANI, La vérité sur l'expédition d'Alger, éd. Balland, 1985, p. 82.

9) - د. عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 14 نقلا عن :
COOLEY John, K. BOAL, christ and Mohamed religion and révolution in North Africa, USA, 1937, p. 168.

10) - ذكر :
JULES TOURNIER, La conquête religieuse de l'Algérie, 1830 - 1845, librairie Plon, Paris, 1930, p. 51, أنّ عددهم خمسة عشر قسيسا.

11) - د. عبد الجليل التميمي، مقال سابق.

12) - ذكر قوله هذا: Mostapha LACHERAF, L'Algérie, nation et société,

François Maspéro, Paris, 1969, p. 51.

13) - JULES TOURNIER, OP.cit, p. 51

14) - AULT - DUMESNIL, De l'expédition d'Afrique en 1830, Paris, 1832, pp. 125 - 126.

وقد ذكر نفس الكاتب أنّ البارون أكستين (d'ECKSTEIN) قد شبه الحملة الفرنسية على الجزائر بالحروب الصليبية. وذكر كذلك شخصية فرنسية أخرى تدعى (De la Mennais) كتبت في جريدة المستقبل الصادرة يوم 1830.12.22 هذه الإنطباعات : «الآن ولوا أنظاركم تجاه الشرق وانظروا إنهيار الإسلام (...) لا يمكننا البقاء مطولا في الجزائر إلا باستبدال القرآن بالإنجيل (ص ص 141_144).

15) ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص. 15. وقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة أنه تم في عهد بورمون، رغم معارضة مجلس بلدية العاصمة الذي كان عضوا فيه، تحويل عدد من المساجد إلى مستشفيات للجيش، أنظر المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق د.محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 281.

16) ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق ص ص 17_18 نقلا عن

DEMONTES Victor, La Colonisation militaire sous Bugeaud, Paris - Alger, 1917, p. 445 et PICLET, Les missions catholiques françaises au XIXè siècle, T.S, Paris, 1925, p. 60 et PAVY, Mgr. Mémoire à consulter sur la création des évêchés d'Oran et de Constantine, 2ème ed. Alger, 1864, p. 21.

17) ـ نفسه.

18) ـ المرآة، مصدر سابق، ص ص 282 ـ 283. وبناء على هذه الوصية صرّح جانتي دي بوسي، المتصرّف المدني، بأن جميع المساجد والمؤسسات الخيرية والأوقاف ملك للدولة. وهكذا تمّ الإستحواذ على جزء كبير من المساجد، إكترى بعضها لتجار حوّلوها إلى محلات وخصّص بعضها الآخر لإسكان جيوش الحملة» (نفسه، ص 262).

19) ـ المرآة، مصدر سابق، ص ص 281 ـ 282.

20) ـ نفسه، ص ص 299 ـ 250.

21) ـ نفسه، ص 256.

22) ـ نفسه ص 280.

23) - BERTHEZENE, (Le Baron), Dix-huit mois à Alger, ou récit des évènements qui s'y sont passés..., A. Montpelier, 1834, pp. 39-52.

24) - DELORT (R), Notes sur l'ouvrage du général Berthezène intit-

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

ulé : dix huit mois à Alger, Imprimerie de J.A Boudon, 1834, p.68

25) ـ له كتيب في حوالي سبعين صفحة أرخ فيه لهذا الحدث وغيره، لكننا للأسف لم نعثر عليه بالمكتبين الوطنية والجامعية رغم بحثنا الحثيث. لذا نكتفي بما نقل عنه جوليان.

26) ـ كان الإحتلال الفرنسي حينذاك مقتصرا على العاصمة وبعض الأميال فيما يجاورها.

27) - Charles André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, T.1, La conquête et les débuts de la colonisation (1827 - 1871), P.U.F, Paris, 1964, PP. 91 - 92.

28) - Correspondance du général Voirol (Commandant par interim du corps d'occupation d'Afrique 1833-1834), par Gabriel Esquer, Paris, 1924, pp. 785-787.

29) ـ وزير الحربية الفرنسي (سُولت) كان هو أيضا متحمسا للدين، وكان كثير المدح للجنرال (رانوفن) الذي تميّز بالدين ونشر المسيحية في الجزائر، أنظر : J. TOURNIER, Op.Cit. P. 203.

30) ـ نقلت هذه المرآة في عهد الحاكم العام Drouet d'Erlon سنة 1836 إلى مرسيليا صحبة رئيس الدير سبيتز (أنظر د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 17 نقلا عن :

Correspondance du général Drouet d'Erlon, Gabriel ESQUER, Paris, 1926, pp. 123-125.

31) - J.TOURNIER, Op.Cit. p 77

32) ـ لايخفى على القارئ كذب الجنرال ڤالي في دعواه هاته.

33) - Louis VEUILLOT, Les Français en Algérie, Souvenirs d'un voyage fait en 1841, A.Mame et Campagnie, Tours, 10ème ed. pp.293-294.

34) - Rapport de Bugeaud, Gouverneur général de l'Algérie, sur les moyens d'affermir et d'utiliser la conquête de l'Algérie , Ministère de la guerre, 15 Janvier 1844, 26 feuilles manuscrites.

35) - Lieutnant général BUGEAUD, Mémoire sur notre établissement dans la province d'Oran, Paris, 1838, p.45.

36) ـ والجنرال دوفيفيي هو نفسه كان مندفعا بروح دينية قوية لاتنقص اندفاع (بوجو)، أنظر كتابه : Algérie, 14 observations sur le dernier mémoire du général Bugeaud, Paris, H.L., DELLOYE, ed. Librairie Garnier frères,

1842, 142 pages.
أنظر بالخصوص ص ص. 138 ـ 142.

37) ـ H.D'IDEVILLE, Le Maréchal Bugeaud d'après sa correspondance intime et des documents inédits, 1784-1849, T.III,Paris, Librairie de Firmin-Didot et Cie, 1882 pp. 297 - 298.

38) ـ نفسه، ص ص. 294 ـ 296.

39) ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص.20.

40) ـ نفسه.

41) ـ H.D'IDEVILLE, Ibid. p.305

42) ـ J. TOURNIER, Op. cit, p.211

43) ـ قاد هذا الملك حملة صليبية ضد تونس أين لقي حتفه.

44) ـ ذكره : M. LACHERAF, Op. cit, p.301

45) ـ أنظر : M.LACHERAF, Op. cit.p 20، وللرحالة كتاب تحت عنوان : Voyage en Algérie, 1845.

46) ـ مثله مثل كتاب AULT DUMESNIL السالف الذكر.

47) ـ Louis VEUILLOT, Op. Cit, pp.5-6.

48) ـ نفسه، ص. 210.

49 ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 21 نقلا عن :
POTTIER (René), La croix sous le burnous, Paris, 1952, P.62.

50 E. KELLER, Le général de la Moricière, sa vie militaire, Politique et religiouse, T. 1, 1874, Paris, Libraire militaire, pp. 43-44

51) ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 21.

52) ـ KELLER, Ibid, p.509

53) ـ نفسه، ص 488.

54) ـ وهو نفس ماوصف به دومسنيل الصليبي الحاقد الجزائريين. أنظر كتابه السالف الذكر هامش ص. 41.

55) ـ ذكر هذا النشيد : M. LACHERAF, Op, cit, p.210 عن : Demanget, Blanqui à Belle-Isle.

56) ـ عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830ـ1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص ص 238ـ 240 نقلا عن أرشيف وزارة الحربية بفانسان تحت رقم H 229. وفي المقابل فإنّ عدد المساجد في العاصمة قد تقلّص من 176 مسجدا، منها 13 مسجدا كبيرا، و109 صغيرا سنة 1830 إلى 47 فقط سنة 1862، خصّص منها 21 للدين الإسلامي. يراجع كتاب :
A. DEVOULX, Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger, Typ., Bastide, 1870, 265pages.

57) ـ عبد الحميد زوزو، مرجع سابق.

58) ـ محاضرات الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله.

59) ـ EMERIT (Marcel), "Le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le second Empire, le conflit entre Mac-Mahon et Lavigerie", in Revue Historique, Janvier - Mars, 1960.

60) ـ تقرير علي باشا السفير العثماني بباريس المرسل إلى وزير الخارجية العثماني بتاريخ 22 أكتوبر 1864. وزارة الخارجية باسطنبول، نقلا عن التميمي، مقال سابق، ص 22.

61) ـ ذهب إيميريت (مقال سابق) إلى أنّ إنتفاضة 1871 في الجزائر كان سببها نشاط المبشرين الحثيث في منطقة القبائل. وهذا الإستنتاج فيه مبالغة، فالجانب الديني كان سببا قويا في الإنتفاضة غير أنّه لم يكن السبب المباشر الوحيد كما ذهب إليه إيميريت. فالظلم الإستعماري في كل مجال كان كذلك وبدرجة قوية سببا مباشرا للإنتفاضة.

62) ـ Charles Robert AGERON, Les Algériens musulmans et la France, (1871-1919), 1ère édition, T.1, P.U.F, 1968, pp.301-302.

63) ـ جاء في العريضتين اللتين بعث بهما أعيان جزائريون من الشرق الجزائري سنتي 1887 و 1892 إلى السلطات الفرنسية البرلمانية بأنّ المساجد في بلاد القبائل تكاد تنهار رغم تكرار طلب سكان المنطقة للسلطات بترميمها. وأنّ مدينة باتنة ليس فيها مسجدا وأنّ السكان كانوا يجمعون التبرعات من المحسنين لبنائه عوض أن يُخصص له قسم من ميزانية البلدية كما كان الشأن بالنسبة للمنشآت المسيحية. وكان المشرفون على المساجد والمؤسسات الدينية يتقاضون أجورا زهيدة، فكان أحسنهم الإمام الخطيب والمدرّس اللذين كانا يتقاضيان فرنكين وخمسين سنتيما في اليوم !

64) ـ Charles Robert AGERON, Op.Cit, p.302 . وقد ذكر الشيخ محي الدين القليبي التونسي أن كثيرا من أيتام العطاف قد إنتقلوا بالسكنى للإيالة التونسية بحقل سان جوزاف دي تيار (كذا). أنظر : «ظاهرة مريبة في سياسة الإستعمار الفرنسي ... الحملة الصليبية التاسعة في المؤتمر الأفخارستي»، المجلة التاريخية المغربية، عددان 19ـ20، أكتوبر 1980، ص ص. 270ـ299.

65) ـ Annie REY - GOLDZEIGUER, Le royaume arabe, SNED, Alger, 1977 pp. 498 - 499.

66) ـ نفسه، ص.500.

67) ـ نفسه.

68) ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق ص ص، 22 ـ 23.

nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

69) ـ لعلّ بريان هذا هو نائب أمين الدولة الفرنسية المكلّف بالفنون الجميلة. فقد جاء في النشرية افريقيا الفرنسية (Afrique Française)، عدد 12، ديسمبر 1910 ص. 386 بقلم فكتور ديمونتيس : «أخطر نائب أمين الدولة للفنون الجميلة الحاكم العام يوم 14 نوفمبر (1910) بأنّه يعترض على تحويل المسجدين وإعادة بنائهما (بالقصبة)».

70) ـ وهم ممثلو المعمرين في البرلمان الفرنسي بباريس بخصوص مصاريف الميزانية المخصصة للجزائر.

71) ـ Gilbert MEYNIER, Op, cit, pp. 170 - 171.

72) ـ حكم جونار فترتين بالجزائر، الأولى منذ بداية القرن إلى سنة 1911، ثم عاد بعد حكم لوطو (Lutaud) بعد الحرب العالمية الأولى.

73) ـ لقد حفظ الله المسجدين فهما شامخين عامرين إلى اليوم. غير أنّ المهندس الفرنسي قد استطاع أن يغيّبهما بعض الشيء عن الأنظار برفع البناء حواليهما. فإنّ الداخل إلى المسجد الجديد مثلا ملزم بنزول درج يقدر طوله بما لايقل عن ستة أمتار، فأصبحت بالتالي قاعة الصلاة فيه منخفضة على سطح الساحة الواسعة المجاورة.

بينما وضعت كنيسة «سيدة إفريقيا» على مرتفع أعالي العاصمة فتظهر للرائين من أنحاء عدة، ومن الأضداد تتضح الأشياء.

74) ـ Gilbert MEYNIER, Ibid, p. 713. وقد أكّد مرة أخرى قانون الجزائر الذي صدّر يوم 1947/09/20 على ضرورة التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية للحصول على نفس حقوق الأوربيين في الجزائر.

75) ـ نفسه، ص، 32.

76) ـ نفسه، ص. 561.

77) ـ لعلّ الغرض كان استقطاب المغاربة عموما الذين «شاركوا» في هذه الحرب إلى جانب فرنسا بأعداد كبيرة، ودفعهم بهذه الطريقة إلى التفاني أكثر في الدفاع عن فرنسا.

78) ـ بني هذا المسجد المتواضع على عجل خلال نفس الحرب.

79) ـ نفسه، ص. 540.

80) ـ نفسه، ص 504.

81) ـ د.عبد الجليل التميمي، مقال سابق، ص 23.

82) ـ (1858 ـ 1928)، كان ضابطا وموظفا مدنيا وكاتبا باللغتين العربية والفرنسية وقد إعتبر وطنيّا معارضا وممثلا للمسلمين الجزائريين.

83) ـ L'Echo d'Alger, 13 Juin 1921, in M.KADDACHE, Histoire du Nationalisme algérien, T.1, SNED, Alger, 1980, p.53.

84) ـ نقلت تصريحه هذا صدى الجزائر بتاريخ 31 أكتوبر 1924. نقلا عن : M.KADDACHE, Ibid,

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

85) ـ الشيخ محمد خير الدين، مذكرات، ج.2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر دون تاريخ للطبع، ص. 81.

86) ـ Malek BENABI, "Les avatars de l'arabisation", in Révolution Africaine, 02 Juin 1968, article receuilli dans : Pour changer l'Algérie, St d'Edition et de communication, Ouled Fayet, Tipaza, 1989, p.76.

87) ـ فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها، I، ليل الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، بدون تاريخ للطبع ص.ص 147 ـ 148.

88) ـ محمد العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، ص 109.

89) ـ مخي الدين القليبي، مقال سابق، ص. 271. وقد خصصت وزارة الخارجية، حسب نفس المصدر، مليونين من الفرنكات إعانة لإقامة المؤتمر الأفخارستي في تونس. وقد عقد من 3 إلى 6 ماي 1930.

90) ـ ذكر هذا المقطع : - Benjamin STORA, MESSALI HADJ, 1898 1974 pionnier du nationalisme algérien, ed. Rahma 1991, p.115.

91) ـ أنظر ملخص ذلك عند : M. KADDACHE, Op.Cit, T.II, p. 592.

92) ـ محمد الطاهر فضلاء، النهضة الوطنية الجزائرية، ط 1، قسنطينة، 1984، ص 99. ويقال إنّ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أجابه بانّ الله أكبر من فرنسا.

93) ـ M. KADDACHE, Ibid, pp. 769-770 وهو إتجاه أقطاب واضعي السياسة البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى ومنهم بول مارتي (Paul Marty) وكان مديرا للتعليم بالمغرب الأقصى بعد الحرب العالمية الأولى وقد تصوّر استقلالا ذاتيا حقوقيا للبربر وتقاليد إجتماعية تقضي على كلّ إسلام وأبعد كلّ تعريب. وكان يقول أنّ اللغة العربية عامل إسلام لأنّ هذه اللغة تتعلّم في القرآن وذكر أنّ مصلحة الفرنسيين تملّي عليهم أن يتطوّر البربر خارج الإسلام (أنظر : أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية بين 1930 ـ 1940، ذكريات ومواقف وأحداث، ج. 1، الدار البيضاء، 1992

94) ـ Claude PAILLAT, Dossier secret de l'Algérie, le livre contemporain, Paris, 1961, p 324.

95) ـ EL-MOUDJAHID, édité en Yougoslavie, T.1, p.72.

96) ـ عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج، 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص، 249.

97) ـ أنظر نص التقرير كاملا عند : Mohamed HARBI, Les archives de la révolution algérienne, Ed. Jeune Afrique, 1981, p 200.

98) ـ مولود قاسم نايت بلقاسم، «ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر (...)»، الملتقى الأول لتاريخ الثورة، 28 ـ 31 أكتوبر 1981، في الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المجلد الأول،

ج.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون تاريخ للطبع، ص 146.

99) ـ تدخل العقيد عمار بن عودة في الملتقى الثاني لتاريخ الثورة. ج.2 ، المجلد الثالث، ص 37.

100) ـ Yves COURRIERE, La guerre d'Algérie, T.III, L'heure des Colonels, Fayard, Paris, 1970, p.31.

101) ـ نفسه، ص ص 42-43.

102) ـ شريط وثائقي عن حرب الجزائر بثته القناة الفرنسية A2 يوم 29 جوان 1992.

103) ـ وصف إطار من إطارات الثورة الجزائرية الجنرال ماسي (Massu) بأنه «جد متعلّق بالمسيحية» أنظر : M'HAMED YOUSFI, L'Algérie en marche, T.II, ENAL, Alger, 1985, p.97.

104) ـ Y.COURRIERE, Op. Cit, pp. 512-513 et ALISTAIR HORNE, Histoire de la guerre d'Algérie, traduit de l'anglais par Yves du Guerny, 3ème ed, Albin Michel, Paris, 1987, pp. 376-569.

105) ـ Claude PAILLAT, Op.Cit, p 230.

106) ـ نفسه، ص 282.

107) ـ نفسه،

108) ـ نفسه، ص 273.

109) ـ Charles de Gaulle, Mémoires d'espoir, le renouveau, 1958-1962, Plon, Paris, 1970, p.79.

110) ـ نفسه، ص ص. 41 ـ 42.

111) ـ نفسه، ص 43

112) ـ نفسه، ص 120

113) ـ أنظر صورة لهذا الشعار على ظهر غلاف كتاب : Yves COURRIERE, Les feux du désespoir, T.IV, Fayard, Paris, 1970.

114) ـ كان سوزوني طالبا في الطب بالسنة الرابعة، وكان عمره حينذاك ستا وعشرين سنة (26).

115) ـ Y.COURRIERE, L'heure des Colonels, Op.Cit, p.560

116) ـ «حرب الجزائر» شريط بثته القناة الفرنسية A2 ، وقد سبقت الإشارة إليه.

117) ـ C.PAILLAT, Op.Cit, p.458.

118) ـ نفسه، ص 480.

119) ـ Y.COURRIERE, Op.Cit., p.712.

120) ـ «حرب الجزائر» شريط

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

121) ـ العبارة دينية مشهور إستعمالها في اللغة الفرنسية : (Prendre son bâton de pellerin).

122) ـ C.PAILLAT, Op.Cit, p.321.

123) ـ مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص 151.

قائمة مصادر ومراجع البحث

I ـ المصادر العربية أو المعربة :

أ ـ الكتب :

ابن العقون، عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج.3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

خوجة، حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق د.محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

خير الدين، محمد (الشيخ)، مذكرات، ج.2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون ذكر لتاريخ الطبع.

زوزو، عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 ـ 1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

عباس فرحات، ليل الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب الأقصى، بدون ذكر لتاريخ الطبع.

فضلاء ، محمد الطاهر، النهضة الوطنية الجزائرية، ط 1 ، قسنطينة، 1984.

قطب، سيد، العدالة الإجتماعية في الإسلام، ط.5 ، دار الشروق، بيروت، 1978.

ب ـ المقالات والدراسات :

التميمي عبد الجليل (الدكتور)، «التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر»، المجلة التاريخية المغربية، العدد الأول، 1974 ، ص.ص 12 ـ 24.

القليبي محي الدين (الشيخ)، «ظاهرة مريبة في سياسة الإستعمار الفرنسي ... الحملة الصليبية التاسعة في المؤتمر الأفخارستي»، المجلة التاريخية المغربية، عددان 19 ـ 20، 1980، ص.ص 270 ـ 299.

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

نايت بلقاسم مولود قاسم، «ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر ...»، الملتقى الأول لتاريخ الثورة، 28 إلى 31 أكتوبر 1981، في الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المجلد الأول، ج.2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بدون ذكر لتاريخ الطبع.

II ـ المصادر والمراجع باللغة الأجنبية :

أ ـ الكتب :

AGERON (Charles Robert), Les Algériens musulmans et la France, (1871 - 1919), 1ère ed., T.1, P.U.F, 1968.

BERTHEZENE (Le Baron), Dix-huit mois à Alger, ou récit des évènements qui s'y sont passés ..., A.Monpelier, 1834, 305 pages.

BUGEAUD (Lieutenant général), Mémoire sur notre établissement dans la province d'Oran, Paris, 1838.

BUGEAUD (Gouverneur général de l'Algérie), Rapport sur les moyens d'affermir et d'utiliser la conquête de l'Algérie, Ministère de la guerre, 15 janvier 1844, 26 feuilles manuscrites.

COURRIERE (Yves), La guerre d'Algérie, T.III, L'heure des colonels , Fayard, Paris, 1970.

COURRIERE (Yves), La guerre d'Algérie, T.IV, Les feux du désespoir, Fayard, Paris, 1970.

DE GAULLE (Charles), Mémoires d'espoir, le renouveau, 1958 - 1962, Plon, Paris, 1970.

: DELORT (J.R), Notes sur l'ouvrage du général Berthézène intitulé dix-huit mois à Alger ..., Imprimerie de J.A. Bourdon, 1834, 81 pages.

KELLER (E), Le général de la Moricière, sa vie militaire, politique et religieuse, T.1, Paris, Librairie militaire, 1874.

LACHERAF (Mostapha), L'Algérie, nation et société, Francois Maspéro, Paris, 1969.

MEYNIER (Gilbert), L'Algérie révélée, Librairie Droz, Genève, 1981.

PAILLAT (Claude), Dossier secret de l'Algérie, Le livre contemporain, Paris, 1961.

STORA (Benjamin), MESSALI HADJ, 1898 - 1974, pionnier du nationalisme algérien, ed. Rahma, 1991.

TOURNIER (Jules), La conquête religieuse de l'Algérie, 1830 - 1845, Librairie Plon, Paris, 1930.

VEUILLOT (Louis), Les Français en Algérie, souvenirs d'un voy-
, ed. A. Mame et Compagnie, Tours.ème age fait en 1841, 10

VOIROL (Commandant par interim du corps d'occupation d'Afrique 1833 - 1834), Correspondance du général Voirol, par Gabriel ESQUER, Paris, 1924.

YOUSFI (M'Hamed), L'Algérie en marche, T.II, ENAL, Alger, 1985.

ب ـ المقالات والدراسات والتقادير :

BENABI (Malek), "Les avatars de l'arabisation", in Révolution africaine, 02 juin 1968, article receuilli dans : Pour changer l'Algérie, St. d'Ed. et de communication, Ouled Fayat, Tipaza, 1989, p. 76 - 79.

CLERMONT - TONNERE (Rapport du ministre de la guerre), in Revue Africaine, Septantième année, vol. 70, Alger, 1929, printed en Suisse, 1971. pp. 215 - 241.

DEVOULX (A), Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger, Typ. Bastide, 1870, 265 Pages..

geaud d'après sa correspon-D'IDEVILLE (H.), Le Maréchal Bu
dance intime et des documents inédits, 1784 - 1849, T.III, Paris, Li-
, 1882, 459 Pages.ie brairie de Firmin-Didot et C

DUMESNIL (AULT), De l'expédition d'Afrique en 1830, Paris, 1832.

DUVIVIER (Général), 14 observations sur le dernier mémoire du général Bugeaud, Paris, H.L., Delloye, éditeur, librairie Garnier frères, 1842, 142 Pages.

ESQUER (Gabriel), Correspondance du général Drouet d'Erlon, Paris, 1926.

GARAUDY (Roger), Appel aux vivants, ed. du Seuil, Paris, 1979.

GOLDZEIGUER (Annie Rey), Le royaume arabe, SNED, Alger, 1977, 815 Pages.

GUERRE D'ALGERIE (LA), Documentaire, chaine française A.2, 29/06/1992.

HAMDANI (Amar), La vérité sur l'expédition d'Alger, ed. Balland, 1985.

HARBI (Mohamed), Les archives de la révolution algérienne, ed. Jeune Afrique, 1981.

HORNE (Alistair), Histoire de la guerre d'Algérie, traduit de
ed., Albin Michel, Paris, 1987. ème l'Anglais par Yves du Guerny, 3

JULIEN (Charles André), Histoire de l'Algérie contemporaine, T.1, La conquête et les débuts de la colonisation (1827 - 1871), P.U.F, Paris, 1964.

KADDACHE (Mahfoud), Histoire du nationalisme algérien, T.1 et T.2, SNED, Alger, 1980.

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional